عمتي

معزوفة أبدية

مجموعة قصية

بقلم

نادية كيلاني



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : عمتي معزوفة أبدية
مجموعة قصصية
المـؤلفة : نادية كيلاني
تصميم الغلاف: محمد عبد الباقي
راجعـه : أحمد حسن
رقـم الايداع :
الترقيم الـدولي:

الطبعة الأولى ٢٠١٦




بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى عائلتي الكبيرة التي سمحت
أن أطرز بعض قصصي
ببعض من خيوطها الحريرية

نادية كيلاني

من الحقائق أن هناك أشياءَ لا تعود؛
الكلمة إذا خرجت، والزمن إذا مضى، والثقة إذا ضاعت
وقد مر الزمن، والكلمة خرجت ودوِّنت علينا،
والأمل في الله لا يضيع.

عـمـتي.معزوفة أبدية

الطريق من دارِ عمتي إلى حقلها ليس بـالقصـــير، ولكن المهمة التي تطوعتُ للقيام بها قصَّـــرت المســـافة معنويا رغم أنها أطالتها زمنيا.

فقد قررتْ أن تذكرني بأهلي وأقربائي، وتشرح لي النسب والسلسال من قديم القديم.

صحيح أن الوجوه قد تغيرت بحكم الزمنِ لمن أعرفهم لكن الطريق ذاته، والمناخ لم يتغيرا بشكلٍ ملحوظ.

فقد شعرت بالسكة التى مشيت بها كثيرا صغيرة وشابة.

أخيرا وصـــلنا الحقل وفي حِضــــنها حمل الحطب.. ألقته بجوار الكانون.. قلبت قفصا وطوَت جلبابا عدة طيات وضعته فوقه وقالت:

- اقعدى يا ابنة الغالي.

درتُ بعيني فى المكان وقلت لها:

- يـا عمتي؛ لـك دارٍ وعنـدك بوتـاجـاز لمـاذا لا تطبخين هناك..؟!.. ردت ببساطة:

- سلو بلدنا يا ابنة أخي.. اقعدي.

تجلس القرفصاء، تمد يدها في فتحة «سيالتها» تخرج علبة الكبريت.. المشهد رأيته مرارا وكنت وإخوتى صغارا نضحك ونقول لعمتى:

«فى جيبك خُرج الحاوى»

لكنني أنظر الآن بتأمل مختلف.. أتأمل يدها وهى تســـحب من الحطب عودا بعد عودٍ وتدفســـه في اللهب فيزيد اشـــتعاله، فيسرع القدر بالغليان والبقَبقة.

ملامح يدها نفسها من حيث الهمة.. أما بضاضة صباها فقد شـــربها الزمن الذي لا يرتوي، وترك لها الجفاف والعروق والسمرة.

تدفس العود في الكانون بإرادة فطرية تدخل يدها إلى قلب اللهب فتخرج أكثر ثباتا وعزيمة، تشير بإصبع واحد إلى ابنتها فتفهم ماذا تريد.. هى الآن تشير بنفس الأصبع إلى زوجة ابنها فتسرع وتأتى لها بدجاجتين.

تضـــع عمتي يدها في ســـيالتها.. خمنت بأنها ســـتخرج السـكين.. صـدق حدسـي.. تنهض لتشـحذه على حافة حوض الطلمبة الأسمنتي..

تـأملـت الحـافـة ومـا عليهـا من خدوش.. ترى هل تفصـــح جروحها عن عدد المرات التي ذبحت فيها عمتي دجاجا.؟!

تهم زوجة الابن لتســاعد عمتي في عملية الذبح.. فوجئت بها ترفض وتطلب مني مساعدتها:

- امسكى معى يا ابنة الغالي.

- أنا يا عمتي.!!

- نعم يا الحبيبة.

وقبل أن أتلعثم كانت قد دفعت إلي بالدجاجة الأولى قائلة:

- امســـكى ســـاقيها وجناحيها هكذا بيد، وجلد رقبتها باليد الأخرى هكذا.. بسم الله.. الله أكبر.

في لمح البصـر شـاهدت الدجاجة تتخبط في كل اتجاه، وكنت أكثر ثباتا وأنا أمســك معها بالدجاجة الثانية، لتتســـلم من الأولى رقصـــة الفرفرة التي تمارســـها الدجاجات المذبوحات على مر الزمن قبل السكون.

تعدل عمتي الطســـت الذي أمامها، تغمر الدجاجة في الماء المغلي وترفعها بسرعة وتبدأ في نتف الريش واستثمار الوقت في التحدث معي:

- لك كم سنة لم تنزلي البلد.. قلتُ أذكرك بما نسيتِ.

- الظروف يا عمتي.. الأولاد في مدارس، وأنا في شـــغل، وأنت تعرفين مسئوليات البيت.

- ولا حتى تغيرى هوا.. ألا تأخذين الأولاد في فســـحة.؟! انزلي بهم البلد.

- حاضـــر يا عمتي ربنا يســـهل.. ماذا قلت في الموضـــوع الذي جئت له.

- نأجل يا حبيبتى الكلام لبعد الغدا، وشـــرب الشـــاى.. هي الدنيا طارت.

- يا عمتى أنا تاركة الأولاد وحدهم، قلت لهم مسافة السكة.

- غلطانة يا حبيبتي.. كنت أتيت بهم معك، حتى يعرفوا بلدهم وأهلهم.. من يوم ما تزوجتِ لم ترى البلد.

- حاضر يا عمتي.. أوعدك أحضرهم إن شاء الله.

- الله يرحمك يا أخي لم تأتِ بهم وهو موجود تأتين بهم بعد ما راح.!!

تنادى على زوجة ابنها:

- لمى الريش حتى نكمل «المخدة».

يا إلهى أمازالت تكمل الوسـادة أم صـار لعمتي مصـنعا من وسائد الريش.!!

تجيء زوجة الابن تحمل كيسا منتفخا تضعه إلى جوارها ثم تجمع ريش الدجاجتين في حجرها وتقوم.

تشق عمتي بطن الفرخة وتخرج أحشاءها.. تلقي بها يمينا تجاه البط، أتأمل طابور البط وهو يأتي متبخترا في مشيته ثم متبغددا في التهامه للأمعاء.

مشية البط في دلال يذكرني بابنة عمتي الصغيرة وكنا نقول لها يا بطة.. وكانت ممتلئة وتمشي تتخايل.. المشهد لم يتغير ولكن دهشتي أنا هي المثيرة للدهشة.. الآن المشهد لم يتغير، ولكن داخلي هو الذي تغير.

تواصل عمتي عملها بهدوء وهمة.. تقف منحنية وتمسك بالحلة التي فوق النار بطرف جلبابها.. تدلق ماءها في الطريق، تمشى قليلا إلى الطلمبة تغسلها وتملأها بالماء النظيف، تعود وتضعها فوق الكانون من جديد.

على ما غلى الماء كانت عمتي قد انتهت من تنظيف الدجاج وتقطيعه بعدد لا يحصى من القطع، تضع قطع الدجاج فى الحلة وهي تسمي الله، ترجع إلى الوراء قليلا تمد جسمها وهي جالسة في مكانها وتعود بالبصلة.. ضحكتُ:

- زمان كنت تخرجين البصلة من جيبك.

تقول وهى تلقى بها في الحلة:

- كل وقت وله أذان يا ابنة أخي.

- ولماذا تعارضين في بيع أرضي يا عمتي ما دام الزمن قد تغير.

- قلت لك بعد الغدا نتكلم.. مالك لا تصبرين.!!

الهدوء الذى تتحدث به عمتي والتسويف كلما جاءت السيرة.. يثيران في نفسي توجسات لا أستطيع تحديدها.. فقد أعددت نفسي لرفض اعتراضها على بيع أرضي التي ورثتها عن أبي وهي في حوزتها، وأعرف مسبقا ماذا تكون حجتها؛ فهي كلمات تردد منذ الاف السنين.

«الذى يفرط في أرضه يفرط في عرضه»

«والأرض كالذهب كلما بقيت زادت قيمتها»

كنت قد أعددت صيغة الدفاع المقنعة مشفوعة بقدر من التصميم.. لكنها لم ترفض، ولم تقبل هي تسوف.. بعد الغدا نتكلم.. ليكن.. جاءني صوتها:

- فيما سرحت يا ابنة أخي.؟

- لا شيء يا عمتي.. لا شيء.

مازالت خزنتها «سيالتها» عامرة، تخرج هذه المرة ورقة ملفوفة بها ملح وفلفل تفرغها فوق الدجاج، وتغطي الحلة.

قلت لها:

- يا عمتي دخان النار طالع على الحلة.!.. قالت:

- لا تخافي يا حبيبتي، عمتك أكلها سكر.. كنت زمان تحبين أكلي أنسيتي.!!

- لم أنس يا عمتي.. لكن أخذتني دوامة الحياة.

- دوامة الحياة تنسـيك حق أولادك عليك.؟! على الأقل يعرفون البلد كما كنت وأنت صغيرة تأتين في الصيف. أسأل عليك يقولون في الإسكندرية ما البلد مثل الإسكندرية وأحسن.. والآن جئت لبيع الأرض.. حتى تنقطعي تماما عن أصلك.

- يا عمتي المعيشة في القاهرة مرتفعة جدا وأبي الله يرحمه كان يساعدني.

- ومن أين كان يسـاعدك، أليس من الأرض.!! ماذا تغير.! الأرض موجودة وهي أيضـا تسـاعدك.. على كل حال بعدما تأكلين أخذك لتشاهدي غيط أبيك ربما لا يهون عليك.

أراحـت عمتي مؤخرتهـا على الأرض وأتـت بـالكيس وأفرغت ما به في حجرها، وأمسـكت بالغربال المكفى فوق مشنة العيش.. تابعتُ العملية التي استدعت ذاكرتي تفاصيلها من ماض بعيد، عرفت أن استعادة الشـيء البعيد يجعلك أكثر فضـولا من مشـاهدته لأول مرة.. ولكن هناك ما يجعلني أكثر دهشـة.. ربما الهمة التي لا تزال عليها عمتي ليس فقط في يديها، ولا في بدنها بل في إرادتها.

تـأخذ مقدارا من الأرز الـذي في حجرها، تضـعه في الغربال، تطوح به بمهارة ورشـاقة وهي تنفخ، فيتكوم الأرز الصحيح في ناحية أما القشر والأرز المكسر فيتجمع في ناحية أخرى، وبحركة ماهرة ترفع عمتي الغربال فيخرج الجزء غير المرغوب فيه في الهواء تسحب الغربال من تحته فينطرح على الأرض شمالا.

في لمح البصـر تجيء الدجاجات والكتاكيت تجري وتلتقط كسر الأرز الذي طوحته.

وضـــعت عمتى الجزء المغربل في صــــينية وأخذت تكرر العملية بالمهارة نفســـها حتى انتهت، ثم بدأت تقلب الأرز بيدها يمينا وشمالا، تصطاد حصوة أو قشة.. قلت:

- نقى الأرز حبة حبة يا عمتي.. قالت:

- صلى على النبي يا ابنة أخي (بخشالته يربي رجالته)

- ياه يا عمتي مازلت ترددين هذه الجملة.؟

- هي لغتنا يا ابنتي.

نزلت حمامة وقفت على حافة الصـــــينية تلتقط الحب.. لا عمتي هشتها ولا الحمامة وجلت من حركة يدها.

راعتني الألفة العجيبة بينهما.. فاســتســلمت للمشــاهدة حتى سمعت صوتها:

- فيما أنت شاردة.

كانت عمتى تأخذ بالكوز من صــــفيحة بجوارها ماء نظيفا وتضـــــعه على الأرز ثم تهم قليلا على مقدمة قدميها وتأخذ في دعك الأرز بكلتا يديها، تنتشــل الأرز في حلة أخرى عدا القليل منه تبقيه في قاع الحلة، تدلق الماء مطوحة به على الأرض، فتســـرع الأرض بشـــرب الماء، وتســـرع الدجاجات بإلتقاط الأرز، فهى على الأهبة من بداية العملية.

- ما رأيك.. أيعجبك هذا الغسيل أم أشطفه مرة أخرى.؟!

- سلمت يداك يا عمتي.

عمتي الآن ترفع قطع الدجاج التي نضجت من الحلة وتضعها في صينية بجوارها وتغطيها بالمنخل الذي أدى مهمته منذ قليل ثم تنهض نصف وقوف وبذيل جلبابها تنزل الحلة الساخنة وتبحث عن الحلة المخصصة لعمل الأرز.. وجدتها غير نظيفة استدارت وهى القرفصاء ومشت خطوتين في المكان تجمع عدة قشات، أما الخطوة التالية فكانت لالتقاط الصابونة.

بقليل من الماء والوقت غسلت الحلة ووضعتها فوق الكانون، أخرجت الملعقة من «سيالتها» غرفت بها السمن البلدى من قدر فخارى غطته بغطاء فخارى فوقه قماشة تربط بطرفها عنق القدر.

قلَّبت الأرز بالسمن ثم وضعت فوقه مرق الدجاج بمقدار تعرفه.. غطت الحلة وقالت:

- لما أقشر الثوم حتى تأتي البنت بالملوخية.

أخرجت عمتي رأس الثوم من سيالتها.. ربعت ساقيها وشدت جلبابها تحت فخذيها فأصبح حجرها مسطحا كالطاولة.. استدارت قليلا في اتجاه الريح، وبدأت في تقشير الثوم.. تمت العملية في سيمفونية رائعة بينها وبين الهواء.

القشر يطير بعيدا بعد أن يرتفع ويدور قليلا في الهواء.

عزفت أصابع عمتي والهواء وقشر الثوم الناصع البياض معزوفة رائعة شدت انتباهي وإعجابي معا، فهو مشهد في رأسي من قديم تجدد عهده اليوم، المهم أن حجرها يظل نظيفا طوال مدة التقشير.

لما انتهت عمتي من المهمة رجعت عن اســـتدارتها التي فهمت مغزاها الآن.. وفي التو جاءت زوجة الابن بالملوخية، أسرعت عمتي بفرد قماشة نظيفة.. وضعتها عليها وبدأت في عملية التقطيف وتضع في حجرها بعد أن لمته وأسقطته بين ركبتيها اللتين رفعتهما قليلا، حجرها الآن غويطا يســـتقبل أوراق الملوخية ولا يطيرها، أما العيدان فكانت من نصـــيب الأرانب والغنم.. قلت لعمتى:

- الملوخية في حجرك يا عمتي بدون غسيل.!! قالت:

- ثوبي نظيف ياحبيبتي لبسته من على الحبل والملوخية من الغيط حالا.

لما أتت عمتي على آخر عود أتت بالحلة والسـكين وبدأت في تخريط الملوخية..

معزوفة أخرى تحبس أنفاسي وتثير شهيتي لمعايشة نوع من القلق اللذيذ.

تأخذ عمتي بقبضـــة يدها أوراق الملوخية وباليد الأخرى تحزها بالسكين في مهارة وسرعة متوالية.

ظل قلبي يرجف وأنفاسي تشهق؛ شهقة مكتومة وراء شهقة مع كل حز تحزه عمتي في الملوخية تحسبا لإصابة يدها بحد السكين وإسالة الدم على الملوخية، ولكن هذا لم يحدث وما هي إلا دقائق، وإذا بعمتي تجمع الملوخية الناعمة تماما وتبدأ في طهيها.

هزرت كتفي في استسلام وأغمضت عيني اللتين تعبتا من التحديق حتى لا تفوتني لمحة مما تفعل.

أسدلت جفني وانشغلت مع أفكاري فإذا بصراع وجدل يمزقني ويجعلني أتساءل بيني وبين نفسي:

«كيف مرت كل هذه السنوات ولم أنزل إلى البلد رغم أنني كنت أحب ذلك كثيرا في صغري.؟!!

«وكيف أحرم أولادى من الانطلاق في هذه الأجواء الشابة التي أصقلت شخصيتي ونشأتني سوية معافاة».

«هل هي مشاغل الحياة كما قلت لها.؟ لا أظن».

«وهل أنا فعلا مقصرة في حق أولادي كما تقول عمتي.؟!»

انتبهت لنفسي:

«لا بل هى تضيع الوقت لكي تضيع علي فرصة بيع الأرض». «نعم هي تراعيها بإخلاص.. وتعطينا حقنا في وقته دون مماطلة.؟.. لكنها مستفيدة منها بلا شك.!!»

«لكن الأرض عندها في آمان.. تخدمها هي وأولادها، وتعطينا أكثر مما كنت أتحصل عليه من أبي».

«أرضى وأنا حرة فيها».

«وهى عمتى وتقدم لى النصح.!»

«الصواب والخطأ وجهات نظر بحسب المنفعة».

«هذا البيع سيقطع صلتي بالبلد وبأقربائي إلى حد ما».

«أنا فعلا في غنى عن المجيء إلى هنا بدليل كل تلك السنين التي مرت».

«لا.. فقد كان والدي همزة الوصـــل.. وكنت أشـــعر في وجوده بأنني لم أغب عن بلدى.. وكانت عمتي تزورنا وتعطينا ريع الأرض.. بعد بيع محصولها».

«إذا بعت الأرض قد لا يصـــبح لي حجة في المجيء إلى هنا، ولا سبب لها في المجيء إلى هنا».

«أنا في حيرة فعلا سأبيعها».

«هل أسأت التعبير بعدما شعرت بالفراغ بموت أبي».

«هاهي عمتي تعيد لي صوابي».

شـــدتني رائحة التقلية من دوامتي تقتحم أنفى، وتدخل إلى مسامي، وصوت عمتى:

- هيا يا حبيبتى الأكل جاهز.. أكيد جعت.

- أبدا يا عمتي هناك نأكل بعد هذا الوقت بكثير.

- الطبلية أمامك تحت التكعيبة.. اعدليها.

لم ألحظ أن التكعيبة لا تزال في مكانها، ولاتزال أوراقها ترســـم ظلالها على الأرض وعلى ملابســـنا لوحات بديعة ومتغيرة.. ردت بيت الشعر المعروف:

تصد الشمس أنَّي واجهتنا فتحجها وتأذن للنسيم

ولم أدر كيف عرف أولاد عمتي وأحفادها أن موعد الغداء قد حان فأتوا جميعا يركضون..

قالت عمتي:

- أتأكلين معهم أم وحدك.!!

- معهم يا عمتي.. معهم.

والسؤال الذي قفز إلى ذهني:

«كيف سيأكل كل هذا العدد من الكبار والصغار وعمتي ذبحت دجاجتين فقط»

إلتف الكبار حول الطبلية.. أما الصغار فقد فرشت لهم أمهم قطعة مشمع بجوارنا، وبدأت عمتي تخرج قطع اللحم دون أن تكشف الغطاء:

- نصيبك يا ابنة الغالي.

واستمرت «تدس» يدها من تحت الغطاء وتسمي وتعطي يمينا وتعطي شمالا وأنا أتابعها لاهثة الأنفاس متوقعة أن يدها ستخرج ذات مرة فارغة قبل أن يأخذ باقي الأولاد نصيبهم.. ولم يحدث حتى آخر طفل.. هدأت أنفاسي.. ونظرت إلى عمتي وقلت لها نقتسم نصيبي يا عمتي.

تبسمت وقالت:

- ربنا ما يحرمني منك يا ابنة الغالي.. كلك حنية مثل أبيك.. حقي موجود يا الحبيبة.

أخرجت قطعتها وتابعت كلامها:

- أنا لا أنسى نفسي أطمئني.. كلي.

وأكلت.. ومع أول رشفة من الملوخية اكتملت بداخلي معزوفة التوحد مع هذا النظام الذي أنا منه.

هل يقبل الإنسـان على طعامه بمسـامه كلها فيحسـها تتفتح وتدرك أنه ألذ طعام، وأن جميع ما حولها يتمتع بنصـيب وافر من صفاء الجو والنفس.

وترميني ذاكرتي لسـنوات مضـت إنه ذات الطعم الذي كنا نتقاتل من أجله صـغارا، وندرك أن قطعة اللحم الصـغيرة من يد عمتي كم هي لذيذة ومشبعة، ونرفض العودة إلى المدينة إذا ما جاء أبي ليأخذنا.

نمسـك أنا وإخوتي في جلباب عمتي ونرجوها أن تجعله يتركنا حتى نهاية الأجازة.

ولم يكن الأكل فقط هو ما يجذبنا للبقاء وإنما الانفلات من قبضـة الرقابة، والركض بين الحقول وحواديت عمتي في المساء.

فعند النوم أتشاجر أنا وابنة عمتي على حِضنها، فإذا بعمتي تحل المشـكلة في هدوء بأن تنام على ظهرها وتنيمني على ذراع وابنتها علي الذراع الأخر، ونسعد جميعا بدفئها.

صحوت من ذكرياتي على صوت عمتي:

- تذهبين الآن لتشاهدي أرضك.؟!

وجدتني أقول بحماس:

- ليس الآن يا عمتي.. يوم الجمعة القادم أحضـر الأولاد لنراها جميعا..



جـدي « قطط » بيضاء

يحكي كبار عائلتنا عن القطط البيضـــاء التي جاءت إلي سرادق، العزاء المقام لجدي، واحتل كل قط كرسيا واستمع إلي ربع من القرآن الكريم ثم نزلوا جميعا وراء بعضــــهم البعض و.. مشوا.

أكثرهم حكيا لهذه القصة المدهشة أنا؛ فأنا شاهدة عيان لهذه الواقعة ولا أملُّ من حكيها.

حكيتها صـــغيرة لزملاء المدرســـة، وحكيتها أما لأولادي، والآن أجمع أحفادي وأقول لهم:

جدي رغم لحيته البيضـــاء الكثة لم أكن أخافه.. أجري إليه بسنواتي الخمس أتسلق ساقيه، واستقر على فخذيه.. يمرجحني، يهدهدني، يداعبني، و.. يطعمني بيده.

أتناول منه «الدبوسة» وأقطب جبيني وأقول وأنا غاضبة:

- أنت تعطيني «العَضَمَه»!!

ولأنني وقتها كنت أنطق الظاء ضادا، وكل حروف الكلمة مقلقلة فكان نطقها يدعو للضـــحك، فيضـــحك الجميع ويطلبون مني إعادة الكلمة ثم يتخذونها فيما بعد مادة للتندر والفكاهة.

- ماذا يعطيك جدك يا عسل.؟

- العَضَمَه.

- هاها... يضحك الجميع.

انتبه وعيي لأجد جدي هذا من حفظة القرآن الكريم لا يمل من قراءته بصوت عالٍ، فكثيرا ما كنت أصحو من نومي علي صـــوتـه ولأن هذه الآيـة تتكرر كثيرا كنت أظن أن جدي لا يعرف غيرها.. أجري إليه وأشـــد شـــعرة من لحيته البيضـــاء وأقول له:

- أنت لا تعرف «الكلب فلفل والقط شرشر.

- لا.. ما هما؟

أجري وأحضر له كتاب المدرسة:

- اقرأ هنا وأنت تعرف حكايات كتيرة.

يربت علي ظهري ويقول:

- بـارك الله فيـك.. تعلمين جـدك.!.. اقعـدي حتـى أحفظـك القرآن.

- أحفظه يا جدي كله.

يضحك من كل قلبه ويقول:

- كله.. كله.!! اذن اسمعيني.

أضم ذراعي فوق صدري وأقول بحروفي المقلقلة.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. بسم الله الرحمن الرحيم.. ﮋ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮊ صدق الله العظيم

هذه المرة يكاد ينقلب على ظهره من الضحك ويقول:

- هذا كل القرآن.؟! اقعدي.. واقرئي ورائي.

ظللت أردد وراءه حتى كبرت، وتقوّم لســاني، وازداد تعلقي بجـدي حتى قرر أبي قرارا هز كيـاني، واقتلعني من جذوري.. انتقالنا إلي بيت جديد بعيدا عن بيت جدي، يومها بكيت كثيرا وقلت:

- تعال يا جدي معنا في البيت الجديد، قال:

- ونترك جدتك وأخوالك.. اطمئني سأزوركم كل أسبوع.

صدق جدي، ووفي بوعده حتى صارت من عادته أن يذهب لصلاة الجمعة في مسجد سيدنا الحسين ثم يأتي لزيارتنا وتناول الغداء معنا، وأصــبح لقائي به في الزيارات بمثابة لقاء الأحبة.. وفي كل زيارة أكتســب منه معلومة أو حكمة أو لفتة دينية في أسلوب محبب.. فكان يشمر عن ذراعه ويقول:

- انظري أنا ذراعي أبيض وأنت ذراعك أسمر من الشمس، يـا حرام ليس معكم نقودا لتزيـدوا القماش نصــف متر لتغطي ذراعيك.. ترد أمي:

- البنت صغيرة يا أبي.

فأرد من فوري:

- لست صغيرة، سأسمع كلام جدي.

ويختفي من دولابي كل ثوب بنصف كم.. وكلما كبرت كلما تشــبعت بمباديء جدي أكثر وتشــوقت لحكاياته أكثر وأكثر، وكنت أنتظر زيارة الجمعة بفارغ الصــبر.. لاســتمتع بحكاياته الكثيرة عن ذي النون المصــري، وســيدنا الخضــر، وقصــة مرض ســيدنا أيوب وصــبره علي هذا الابتلاء حتى شـفاه الله، وقصة سيدنا موسي الذي عدى البحر ولم يبتل، أما القصة التي يحبها جدي ويرددها كثيرا كثيرا فهي قصــة الحوت الذي ابتلع سيدنا يونس ولم يهضمه..

ثم يردد في نهاية كل قصة:

رويدا رويدا أدركت معناها وتغلغلت في نفسي.. فهل تدوم سعادتي بجدي.!!

كان من الممكن لولا ذلك اليوم الذي دق بابنا دقا عنيفا فجرينا نحو الباب ونحن نردد:

-حاضر حاضر.. يا ستير يا رب.!

وما أن فتحنا الباب حتي اندفع جدي مسرعا يدخل ويغلق باب الشقة خلفه ويسرع إلي أبعد غرفة ويغلق بابها عليه وهو يقول:

- لا تفتحوا.. لا تفتحوا.

دق الباب مرة أخرى بالقوة ذاتها وجدي لا يزال يردد لا تفتحوا.. وفتحنا فإذا بخالي يدخل وينزل جسده منهكا على أقرب مقعد.

وعرفنا أغرب حكاية بطلها جدي وهو ليس راويها هذه المرة.

قال خالي:

- لا نعرف الذي حدث له.. منذ أسبوع يكلم أشخاصا أمامه، ويصر علي أنه يراهم ويكلمونه، ويصر أكثر على تحديهم ومخالفة أوامرهم.

تلفتنا إلى بعضنا البعض وخالي يكمل:

- ذهبنا به إلي أكثر من طبيب ولم يعرفوا العلة.

أطل جدي بحذر من الغرفة التي يختبئ بها ومن خلال فرجة صغيرة، قال:

-الحمد لله.!! .. مشوا.

- من يا جدي.؟

- فريدة وفهيمة.

- من هما.؟

- فريدة أم فهيمة، والاثنتان تريدان الزواج مني.

انفجرتُ في البكاء.. ضاع جدي الحبيب، أصابه مس من الجن، يارب ارحم جدي الطيب الذي يحفظ كتابك ويردده ليلا ونهارا.

هدأنا جميعا مع صوت الله أكبر.. وأخذ كل منا يردد الأذان ويدعو لجدي بالحماية من كل شر.. وقام جدي مسرعا كعادته ليتوضأ، وأسرعت أفرش له المصلية، واستقبل جدي القبلة وقال:

- الله أكبر.

ثم توقف وقال لشخص في خياله.

«وبعدين» معك يا فريدة.؟! أريد أن أصلي، أنت تعطلينني عن فرض ربنا.. لا والله لن أسمع كلامك، وفهيمة أيضا حضرت أهى، هيا يافهيمة خذي أمك وامشي.

ويستمر:

نعم.. نعم سـأتكلم أمامهم.. لا لن أسـكت وسـأحكي لهم كل شـيء.. ابعدي عني وأنا أسكت.. يا فريدة خذي بنتك وامشـي من هنا.. خذي أمك يا فهيمة.. لأ.. قلت لك لأ.. لا أنت ولا أمك.. طيب سأقول لهم، والله سأقول لهم.. طيب امشـي.. الله لا يسـيئك امشـي.. الله أكبر.. ياه مرة أخرى.. إذن لن أصـلي ارتحت أنتِ وهي.. متشكر يا ستي مع السلامة.. الله أكبر.

وجوهنا جميعا ممتقعة بالدم، العيون فائضـة بالدمع، القلوب منخلعة على الجد الحبيب.. وما العمل.؟!

قالت أمي:

- العمل.!.. لابد أن أحدا عمل له عملا.

- والحل.. يا أهل الخبرة.؟!!

- الزار.. نعمل له زار يخرج العفاريت من «جتته»

هز خالي رأسه أسفا.. وقال الأمر لله.. نعمل زار.

دامت الاتصـالات بين أمي وجارتها حتى عرفنا موعد الزار وفي أي بيت يكون، ولما قالت:

- هيا يا أبي.

تشبث بي.. وتشبثت به.. فقالت أمي:

- لا مانع.. تعالي معنا.

كان هناك شئ يشبه الهودج أو السرير «أبو ناموسية» يتوسط الغرفة، وكان الرجال والنساء يدورون حول هذا الشئ يتمايلون يمينا وشمالا، وهناك من يدق لهم علي الطبول، ومن يطلق البخور، وهناك من يرفعون أصواتهم من وقت لاخر بصياح مزعج أو بصراخ مفزع.. قالت لنا المسئولة التي جاءت بنا:

- اجلسوا بهدوء في هذا الركن، ولما تأتي الدقة التي تناسب قرينه سيقوم وحده ويندمج في الزار.

كاد قلبي ينخلع من هول المشهد، ويزداد دقه كلما تغيرت دقة دفوفهم، فتتعلق عيناي الممتلئة بالدموع بجدي، وأسجل في رأسي ملامح وجهه.

أراه في كل مرة يزداد ضيقا وليست عيناي فقط اللتان تتعلقان بوجهه، فهناك عينا الكدية أو الوسيطة، وجدي لا يحرك ساكنا، وأخيرا قام.. قام ولم يتجه إلي وسط الحلقة كما هو متوقع، بل إلي باب الخروج، ونحن نسرع من ورائه.

تدهورت صحة جدي بعد ذلك وزاد حواره مع من يسميهما فهيمة، وفريدة.. خصوصا في وقت الصلاة.. ولكنه أبدا أبدا لم يترك فرضا حتى آخر صلاة صلاها وفاضت روحه الطاهرة وهو ساجد لله.

أقام أخوالي سرادقا كبيرا في الشارع أمام البيت حضره جميع الأقارب وأهل الحي وامتد بهم الوقت إلى ما بعد منتصف الليل، يفرغ الصوان ويمتلئ بالناس الذين يحبون جدي، ويتبركون بسيرته.. ولما انتهت الليلة وصعد أخوالي إلينا، كنت لا أزال في حِضن أمي أبكي وأنهنه وهي تربت علي ظهري وتصبرني.

توقف نحيبي لأسمعهم يتحدثون عن الشئ الغريب الذي حدث في سرادق العزاء، ويقسمون بالله أن سبع قطط سمان ناصعة البياض دخلوا إلى السرادق وراء بعضهم البعض. واستقل كل قط منها كرسيا على مرأى من كل الحضور الذين صاحوا في وقت واحد:

- الله أكبر.. الله أكبر.

جلس كل قط فوق مقعده في خشوع واستمع إلي ربع من القرآن الكريم، ثم نزلوا من علي مقاعدهم وراء بعضهم البعض و.. مشوا[١].



(١) مجلة أكتوبر- ١٢ أغسطس ٢٠٠٦.
موقع القصة العربية- ٢٩ يناير -٢٠٠٧.

جدتي ماء العيون

- يووه ياجدتي.. اخفضي صوتك أريد أن أنام.

- قومى ياحبيبتى توضائي وصلي الفجر.. عمرك الآن تسع سنين

- أنا صغيرة ياجدتي صلي أنت واخفضي صوتك.

-لابد أن تعتادي ياحبيبتي قبل العلقة.. كل يوم أقول لك هذا الكلام

- يووه ياجدتي.

رغم الكسل والتأفف الذين أبديهما أنهض، وأذهب متذمرة إلى الحمَّام ثم أتوضأ وأعود نصف نشيطة.. أصلي بجوارها ركعتي الصبح، فقد كانت تصلي منذ قليل سنة الفجر المؤكدة كما قالت لي، وهي تسامحني عنها الآن، وربنا أيضا يسامحني.. ولكن في السنة القادمة عندما أصل إلى العاشرة لابد وأن أصلي الفرض والسنة لوقتهما وإلا نالتني علقة ساخنة من كل فرد في البيت بل في العائلة.

بعدما أنتهي من الصلاة يكون النوم قد طار تماما وأبدأ مع جدتي رحلة الصباح الممتعة لي، والتي أحضر كل عام في الأجازة من أجلها.

أحمل كيس الحبوب وهي تحمل الخبز الجاف نصعد الدرج.. عند أول شقة فوق شقة جدتي أحاول أن أضغط جرسها.. تنظر لي بعينين واسعتين.. أفهم أنها ترفض فأتبعها وعند الشقة التي تليها أسألها:

-أضغط على الجرس.؟!

ترد:

- ليس الآن ياعفريتة، أواصل الصعود خلفها حتى السطح.. تذهب أول ماتذهب إلى برج الحمام تفتحه وهي تبسمل.. وتقول:

- صباح الخير يا حمامي الجميل.

يطير الحمام ويحط على كتفيها ورأسها ويديها وهي تلقي له بالحبوب.

- وماذا بعد يا جدتي.؟

تنظر لي لتعرف أنني مصغية تماما قبل أن تسترسل:

- المرحوم جدك كانت نيته أن يبني له شقة مثل إخوته لكن القدر لم يمهله.

عرفت أنها تتكلم عن خالي «صلاح» الذي سافر إلى العراق منذ شهور.. أكملت:

- ولما مات قسَّمنا كل شيء حسب الشرع، وقال إخوته:

يسكن معك في الدور الأول، قلت: يوم المنى، يعمرها بعياله، وأنا أشيلهم في عيني.

فجأة يا حبيبي لقيته شد الرحال على العراق، لماذا ياعمري وحتى لو جمعت ثمن الشقة، يرضيك تخرج من بيت العيله.؟!

استدارت ناحية البط:

- يووووه.. أنت طوال النهار تبلبل نفسـك في الماء وتملأ الأرض هكذا.؟ خُلقك ضـيق مثل صـاحبك، والله لولا أنـي أدخرك «لصـلاح» حين يأتي بالسـلامة لذبحتك الآن، تفضـل الفول والعيش المبلول، كل واسمن، تلقى الرجل راجع هفتان.. هي الغربة فيها أكل أو راحة.

- متى سيأتي خالي يا جدتي.؟

- قريبا إن شاء الله.. هو يقدر يستغنى عن أمه. وسيأكل كل هذا البط وحده.؟!

شهقتُ.. ضحكت وقالت:

- وأنت وأمك وكل الحبايب لأجل خاطر «صلاح».

ثم تنهدت تنهيدة طويلة وقالت:

- سنة كاملة يا حبيبي ألم توحشك أمك.؟!

كل عشة تفتحها جدتي يخرج إلي السطح محتوياتها من الطيور، فاردة جناحيها للشـمس والهواء.. فتقوم هي بتنظيف المكان، وإخراج فرشـه في الشـمس وتلقي بالفول، والذرة العويجة، والخبز والبرسـيم، فيقبل كل طير على طعامه، إلا الرومي الصغير.. تجلس جدتي القرفصاء، وتقشر له البيضة وهو ينقرها من يدها صابرة حتى ينتهي إلى آخر فتفوته.

أسألها مندهشة:

- لماذا هذا الرومي يأكل البيض ياجدتي.؟!

- نفســه عزيزة مثل الغايب، صــلاح ابنـي يحب يأكل اللقمة الحلوة ويعيش في المكان النظيف.

تمســك بذكر الحمام وتلاغيه: تعال يا «صـــلاح» أنت مثله نفري، أرقد على البيض ساعد وليفتك ولا تتركها «ينحل» ريشها وأنت واقف تتفرج.

أقول لها مندهشة:

- الحمام اسمه «صلاح» ؟

تتنهد وتقول:

- حبيبي طوِّل الغيبـة عليَّ، ادعي لـه يـا الحمـام يرجع لأمـه بالسلامة.. هو الآن رجُلي بعد أبيه.

وقبل أن تولي برج الحمام ظهرها لا تنســى أن تقول له لن أتأخر عليك.

أسألها:

- أين خالي «صلاح» ياجدتي.؟

- في الغربة يا ابنة الغالية.. راح يجيب المال.

ثم تواصل وهي تحدث نفسها:

- عمر المال ما يســاوي الغربة يا بني.. وهل نحن محتاجون يا ناس.. ماهي مستورة.. قال مسـافر يجمع ثمن الشـقة.. وهو أنا تأخرت، ماشـــقتي موجودة.. وأتمنى يتزوج ويعيش معي فيها.. وهل هو يقدر يوفر ثمن شقة مثل هذه.؟! اه من جيل هذه الأيام.

استـــدارت جدتي إلى حظيرة الدجاج.. أخذت المســـاقي وأعطتها لي وقالت:

ـ اغسلي واملائي.

عدت بالمســاقي نظيفة، وممتلئة فوجدتها قد كنسـت العشــة وألقت بالذرة والخلطة التي تصنعها له، وسمعتها تقول للدجاج.

غدا أولاد صـــلاح يملأوا عليَّ الشـــقة كهذه الكتاكيت الحلوة.. قولي يارب قرب البعيد ورجعه بالسلامه.

أردد ما أرادت بينما هي تواصل حديثها:

ـ أنا قلت له اســكن معي في الشـــقة التي تربى فيها مع إخوته، وعشـت فيها أجمل أيام مع أبوهم الله يرحمه، شـقه فيها البركة وريحها خفيف وتطل على حديقة حلوة.. مهما شفت من بيوت لا أستطيع أن أنام ولا أرتاح إلا فى غرفتي.

تسترسل جدتي:

منذ أن بنيت هذا البيت أنا والمرحوم جدك على أيدينا.. تعودت على كل ركن فيـه، لا أســـتطيع أن أغير مكـاني ولا فرشتي ربنا ما يحرم أحد من بيته.

كيف لا أفهم وقتها ما تقوله جدتي، وكان أكثر ما يشغلنى احتفالية الطيور التى تحتفي بها.

أرفع رأسى مع الذى يرف حول أكتافها وأخفضها مع الذي يدور حول قدميها شــاخصــا ببصــره إلى ما في يديها.. أما أنا فسعيدة كل السعادة بهذه المظاهرة، ولا أكف عن الأسئلة:

- ما أخبار الأرانب الصغيرة التي ولدت في العام الماضي وأنا خفت من شكل جسمها العارى المرصوص بحذاء عتبة العشة.!!

- يووة.. أكلنا منها كثير.. وأرسلنا لكم منها.. في الأصل هي أرنبة «صلاح».. أرنبة أصيلة ولود.

أضحك بملء فمي وأنا أتذكر خروف العيد من سنتين والذي كان مربوطا في الحديقة، وما أن رأيته وكنت أسير خلف أمي التي سبقتني بالدخول، إذا بي أتوهم أن الخروف ينظر إليَّ ويتوعدني، فأصاب بالرعب وإذا بي أستدير وأسرع الخطى إلى الخارج.. وقد صدق حدسي فقد قطع الخروف حبله وأسرع خلفي.. ظللت أجري في الشارع وأصرخ حتى أمسك أحد المارة بالخروف، وأمسك بي خالي «صلاح»، واحتضنني وهو يلهث من الركض في إثرنا، وهدأ من روعي وهو يقول:

- سوف أذبح هذا الخروف أمام عينيكِ حتى لا يفعلها معك مرة أخرى.!

عدت وأنا أمسك بحبل الخروف وفى الحديقة أعاد ربطه جيدا، وجعلني أركب على ظهره قليلا، وكلها محاولات لكي يرفع عني الرهبة ويعيد إلي سكينتي.. ويومها انحنى خالي على ركبتيه ويديه مثل الخروف وأركبني على ظهره، وهو يمأمئ مثله، وأنا أضحك، وجدي يضحك.. ولم ينس في آخر الزيارة أن يجعلني أسلم على الخروف وأربت على ظهره بيد وأمسك ذيله باليد الأخرى عائدتين إلى بيتنا.

ضحكت أنا وجدتي ونحن نتذكر تلك الحكاية وأقول لها:

- والله خالي «صلاح» طيب جدا.. يارب يأتي اليوم.

انتهت جدتي من مهمتها مع الطيور.. أمسـكت بزوج من الـدجـاج وبزوج غيره في اليـد الأخرى واتجهنـا نـاحيـة الدرج.. وهنا سمحت لي أن أسبق وأدق الجرس عند أول شقة بعد السطح.

هرول ابن خالي «حسن» يفتح الباب ثم يرفع صوته:

- بنـت عمتي وجـدتي يـا مـامـا.. دخلتُ وفي إثري جـدتي، تناول ابن خالي زوج الدجاج من يد جدتي ودخل به إلي أمه، وعاد مسـرعا وتناول الزوج الآخر ونزل به إلي الشـقة التي تحت شقتهم، بينما هب خالي «حسن» واقفا يستقبل أمه.

- صباح الخير يا أمي .. ثم يقبل يديها:

- كيف حالك يا ست الكل.؟

- بخير يا حبيبي طالما أنت بخير.. نظر إليَّ وتابع كلامه ماذا فعلت معك هذه الشقية.؟

- لعبت مع الدجاج والبط وسألتني عن الغائب الحاضر.

- غدا يأتي بالسـلامة.. وتفرحي به وبعياله، كما فرحت بنا جميعا.

- أكتب له يا «حسـن».. قل له أمك لا تريد أي شـئ من الشقة سوى غرفتها.. أنت متربي على الغالي يا حبيبي، ولست حمل غربة وعذابها.

- سيكون كل شيء على ما تحبي يا غالية.. فقط أعطي له فرصة يجرب حظه.

- الغائب حتى يعود.. مزيدا من الصبر يا حاجة، ونحن جميعا من حولك.

جاء صوت زوجة خالي قبل أن تظهر تحمل صينية الإفطار.. رد خالي على زوجته:

- خفي عن أمي يا أم العيال.

- هو أنا قلت شيء خطأ.. الغائب له معزة خاصة.. ربنا يرجعه بالسلامة.. وضعت الصينية.

- تأخرت على الإفطار اليوم يا حاجة.. الأولاد رفضوا الأكل من غيرك.. بسم الله حتى يلحق ابنك شغله.

كان الإفطار اليوم في شقة خالي حسن الذي نزل إلى عمله بعد أن قبَّل يدها مرة أخرى وأمر ابنه أن يقبِّل يد جدته.. وهمت جدتي بالنزول وقالت زوجة خالي.

- خارجه وراء ابنك على طول.. ابقي معنا قليلا.

ردت جدتي:

- ألحق ابني الثاني قبل ما يخرج.

نزلت الدرجات وتوقفنا عند الشقة التالية.. فتحت زوجة خالي وصاحت:

- الحاجة وصلت يا «محمد».. أهى بخير ونازلة من فوق.

أســـرع خالي «محمد» مهرولا يســـتقبل والدته وقد لبس نصف قميصه قبَّل يديها ورأسها قائلا:

- انشغلت عليك يا حاجة.. نصف ساعة تأخير عن ميعادك، والإفطار جاهز.

- ســبقتك عند «حســن».. النهاردة يومه.. كل أنت وعيالك بالهنا والشفا.

أحببت طقوس جدتي وأخوالي وكنت في ســـني الصـــغيرة أحس لها بمذاق حلو ونكهة محببة، وكان يقر في نفســـي أن أخوالي هؤلاء أطيب وأبر رجال الدنيا، وأن جدتي شيء مقدس يتبرك بها كل منهما قبل أن يبدأ يومه.

كنت في كل أجازة الصـــيف أذهب إليها أخطتف بعض الأخبار وأتزود بهذا العبق الحلو.. واستمرت غربة خالي ثلاث سنوات أخر، وأنا في كل عام أذهب وأعيش ذات الطقوس التي تعزفها جدتي مع الطيور أولا، ومع أولادها وأحفادها ثانيا.. وفي كل عام أثناء توجعها على الغائب تضـــيف عدد ســـنين الغربة:

- سنتان يا نور عيني، ثلاث سنين يا حبيبي.. أربع سنين يا عمري ولا شيء غير الخطابات.؟!

في أجازة الصـــيف التالي ذهبت إلى جدتي كالعادة.. وكان خالي «صـــلاح» قد عاد منذ شـــهور قليلة، والعجيب أن جدتي كانت ليست في حالة السعادة التي كنت أتوقعها لها بعودة ابنها الغالي عليها:

- لماذا أنت متجهمة في وجه خالي «صـــلاح»، يا جدتي، وماذا يفعل في السطح.؟!!

لم ترد وعرفت الجواب متناثرا على ألســن الصــغار والكبار.. وأحاديثهم الثنائية والثلاثية والجماعية والفردية.. خالي «صــلاح» يبني حجرة فوق السـطوح لتقيم فيها جدتي.. سألتها:

- لماذا أنت غاضبة وحزينة.؟!.. قالت:

- على آخر العمر ياولادي تدفنوني بالحيا.. أخرج من بيتي وأنا حية:

- وماذا فيها يا جدتي ســيبنون لك غرفة جميلة وحمَّاما خاصا، وينقلون لك سريرك ودولابك.. ردت:

- وذكرياتي.....؟!

ارتجف قلبي.. نظرت إليها فأكملت:

- بنيت البيت مع جدك طوبة طوبة، شــلت المونة والرمل على رأسـي.. لا يغرك الحي الراقي الذي نسكن فيه، من زمن كان صـــحراء، وكنا من أوائل الناس الذين جاءوا وعمروا في البداية.. بنينا شــقتي والحديقة.. خلفت صــبياني كلهم والبنت هنا.. أمك تزوجت وأخذها أبوك إلى بيته، ولما جاء الدور على الكبير «حسن»، قلت الولد لا يخرج من بيت أبيه، بنينا له شقة والثاني أيضا بنينا له، لا أترك ابني أبدا.؟

- وكانت نية جدك أن يبني شقة أخيرة لـ«صلاح» كإخوته لكنه رحل.. مات وتركني لأولادي يهينوني ويخرجوني من بيتي.

- يقولون يا جدتي إن هذا في صـــالحك حتى تكوني بجوار طيورك وحتى يعفوك من طلوع الدرج.. والذي ســـيزيد دورا إذا بنوا شقة رابعة.. مصمصت شفتيها:

- قلبهم عليَّ يعني.!!.. يتركوني في حالي أنا وجدك.

فغرت فاهي:

-جدي.!! ألم يمت جدي.!

قالت بهدوئها المعتاد:

- مات عندكم أنتم.. أما أنا فأراه في كل مكان فيه أجلس، وفيه أمشي.

ونهضتْ تفسر لي هذا اللغز:

- كل يوم نصـــلي الفجر معا هنا في ذات المكان.. ولما كان يرجع من شغله تعبان أدلك له رجليه بالماء الدافئ والملح.. هنا فوق هذه الكنبة.. وآخر اليوم نجلس هنا نتحدث ونقول لبعضـنا أحوال العيال وماذا نفعل لهم.

تنهدتْ وهى ترفع عينيها:

- انظري صورتي مع جدك ونحن ذاهبان إلى الحجاز.. من يومها وهي فوق هذا الحائط لو انتقلت إلى مكان آخر فقدت معناها، يريدون لي أن أعيش بلا معنى.

لم أكن أعلم أن بداخل جدتي كل هذا المخزون من الألم، والحب.. تعاطفت معها فقلت لها بحماس:

- اعترضي يا جدتي قولي لا.!

أسندت رأسها بيدها

وقالت:

- قلت لا وألف لا.. لكن من يقرأ ومن يسمع.!!

تركتها في أساها، هذه المرة وفي قلبي مشاعر لا أعرف وصفها، أهمها شعوري بأن جدتي بدأت تفقد حياتها مادامت ستعيش بلا معنى كما تقول.

وتم نقل جدتي إلى الغرفة الجديدة.. وتم زفاف خالي في شقتها بعد أن غير ملامحها، ومرت الأيام ودعتني أمي لزيارة جدتي معها.. فهي مريضة.. وآخر اليوم طلبت من أمي أن أبقى معها ليومين، ففعلت فهي تعلم مدى حبي لجدتي.

في الصباح صحوت على صوتها وهى تصلي دون أن توقظني كما كانت تفعل.. سألتها:

- لماذا لم توقظيني يا جدتي.؟

- كل حي معلق من عرقوبه، تريدين أن تصلي قومي.؟ لا تريدين نامي.

نهضتُ شاردة أفكر في كلامها.. كيف فقدت حماسها لهذه الدرجة.. بعد أن انتهينا من صلاتنا وتسبيحنا قلت لها:

- الآن لا نحتاج إلى صعود الدرج نخرج من باب الغرفة لكي نطعم الدجاج والحمام خطوة واحدة ونكون عندهم.

وجدتها تضم كفيها وتفردهما في تحسر وتقول:

- وأين هي الطيور يا حبة عيني.. كان زمان وجبر.

اندفعت أفتح الباب وأسرع إلي العشش فإذا هى خاوية على عروشـــها لا حمام في البرج، ولا أرانب في الخن، ولا دجاج في العش، ولا زرع أخضر في القصاري:

- لماذا يا جدتي.؟!

وتضاربت الأقوال.. فمن قال:

- كسل وكبر سن، لم تعد قادرة على خدمة الطيور.

ومن قال:

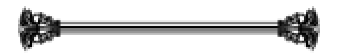
- تعاقبنا لأننا لم نعترض على نقلها إلى غرفة السطح.

وقالت العروس الجديدة الحامل:

- حتى لا تغذيني أثناء الولادة.. تريد أن تأخذ زمنها وزمن غيرها.!!

أما جدتي فقالت:

- أتشرب الطيور من ماء العيون[١].؟!!



---

(١) الأهرام- ٢٧ أغسطس ١٩٩٩.
موقع القصة العربية- ٢٧فبراير٢٠١٢.

أمي فطرة الله

انتبهت عيني لتراها صـــابرة محتســـبة، متحملة لأجلي.. تربت في بيت زوج أمها، ورغم أنه كان رجلا فاضـــلا، أحبها وأغدق عليها من عطفة؛ كرامة لأمها تارة، وتارة أخرى لأنه لم ينجب سوى ثلاثة ذكور فكانت فاكهة البيت ونوّارته.

لا أدري ما السبب الذي يجعل طفلا يشعر باليتم لغياب أحد والديه إذا عوضـــه الله ببديل يتولى أمره بحب ورعاية واتقاء لله..

هذا ما فهمته، رغم صـــغر ســـني من رفضـــها المســـتمر الانصـــياع لنصـــائح إخوتها، بترك أبي وتطليقها منه، رغم ما كان عليه من نزوات لا تبالي بها، وعثرات تتحملها، وأحيانا غلظة في معاملتها فتصبر، وسمعتها أكثر من مرة تقول:

- لا أترك ابنتي تتربى في بيت زوج أم أو زوجة أب.

وابنتها هذه هي أنا، حيث إنني الكبرى وما بعدي ذكور.. وإذا قيل لها:

- لقد كان زوج أمك نعم الأب، تقول:

- من أدراني أن يتكرر النموذج.

كلما تفتح وعيي وزاد إدراكي، اكتشف فيها صفاتٍ أخرى غير الصبر، أكتشف أنها ذكية لمّاحة لبقة رغم قلة تعليمًها.. ثم وجدتها حكيمة حصيفة رغم قلة اختلاطها.

كانت تزورنا جارة عجوز، وكنت ألاحظ كلما بدأت تلك الجارة في الحديث أجد أمي تقاطعها برقة محوِّلة دفّة الحديث إلى متاعب الأولاد ومشـــكلاتهم التي لا تنتهي، وكيف أن لكل واحدا منهم مزاجه الخاص

ثم تنادي عليّ قائلة:

- هاتِ صندوق الأحذية.. فأسرع وأضع الصندوق أمامهما، وتظل أميَ تمســك بأحذية إخوتي الصــغار وتناولها للعجوز قائلة:

- هذا جديد كما ترَين ضاعت فردته الأخرى، وذاك ضاق على قدمه، والثالث غضب عليه لأنه يؤلمه إذا لبسه.. وهكذا حتى ينتهي وقت الجارة وتنصــرف.. ويتكرر الأمر ويتكرر كلما حضرت تلك الجارة حتى فاض فضولي فسألت أمي عن تصرفها الغريب.. فكانت إجابتها مفاجأة لي:

- هذه المرأة نمّامة؛ تحب أن تغتاب الجيران، فكلما جلست في بيت لا همّ لها إلا نقل سيرة الناس والجيران، أليس الحديث في الأحذية أفضل من الخوض في سير الناس.؟!

ورثت عن أمها عقدًا من الذهب، فكانت تلبســه دائما فرحة به تخبر كل من يراه أنه من رائحة أمها.. كنا نعلم كم تحب هذا العقد لصفته المعنوية.. وذات يوم وجدتها تقول لي بهدوء:

- العقد ضاع.

- كيف ضاع يا أمي وهو لا يفارق رقبتك.

- أكيد انفتح قفله وسقط.

- يا خسارة.

- ليس على الله خسارة.

اندهشت لردها وهدوئها..

فقلت:

- هو أيضـــا ذهب يعني له قيمة مادية، عند وجود المشــكلة يستطيع حلها.

ابتسمت وقالت:

- إذًا فقد ذهب بمشكلته.

هـذه الأم بمـا هي عليـه من ثبـات وعقـل لا أدري مـاذا أصابها.؟

منذ أن شـــبَّ عودي، وتدورت أعضـــائي، وانتقلتُ للصــف الأول الثانوي، وقد انتابها القلق.

لماذا يا أمي.؟! ابنتك عاقلة، ولن يقدر أحد على خداعها.. تربيتكِ أنا وأحفظ تعليماتَك جيدًا.. ثم إنني أحبك، ولا أتصــرف إلا وَفْقَ ما يرضيك.. وتُسرِّين به.

تارة أجدها هادئة مطمئنة، وتارة أجدها تتلفَّت حولي تحدق في عيني، تفتش كتبي، تتشـمم عطري، ترفض أن أزور صــديقة لي أو أخرج لأي ســبب بعد المدرســة إلا بصــحبتها، تفتش في ضمير أي صديقة تأتي لزيارتي.

هذه لا تصـــــاحبيها، وهذه البنت بها لؤم وخبث لا أرتاح لها، حتى الصـــديقة التي اختارتها بنفســـها ورضـــيت عنها وقررت أن أصاحبها، إذا طلبتُ زيارتها في الأجازة لا أجد إلا الرفض.

أتذكر حين كنت في الأجازة الصــيفية وتضــايقت من قعْدة البيت وطلبت منها أن أذهب لصــديقتي المفضّــلة لديها، وبيتها قريب من بيتنا.. نادت على أخي الصغير

وقالت له:

- اذهب وقل لـ (...): تعالي كلِّمي ماما.

ولما أتت البنت في حالة من الهلع تظن أنه قد حدث لي مكروه، إذا بها تقول لها:

- اقعدي مع صديقتك بعض الوقت، أوحشتيها.

كنت أتجاوز كثيرا عن تصرفات أمي في التضييق عليَّ.. وبعقلي الراجح ألتمس لها العذر.. أمٌّ وتخاف على ابنتها بطريقتها؛ ما باليد حيلة!

وكانت الطامة الكبرى بالنسبة لها.. سافر الجيران في البيت المواجه في إعارة للزوج.. وجاء ثلاثة شبّان من أقربائهم يدرسون بالجامعة يسكنون شقتهم حتى يعودوا من السفر.

أول ما فعلته أمي هو أن نقلت مكان غرفتي إلى غرفة داخلية.. ثم زاد متابعتها لكل لفتاتي وتصرفاتي.. كدت أنهار من فعلها؛ لولا أنني أصبِّر نفسي بنفسي فأهدأ..

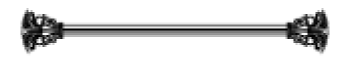
ذات يوم نظرتُ من النافذة فوجدتها هناك.. نعم وجدت أمي في شقة الشباب تحمل معها كيكة صنعتها لهم، ذهبت لتتعرف عليهم وتطمئنهم أنها هنا مثل أمهم، وأي طلبات وأي خدمات، وكله من أجل صديقتها الغائبة صاحبة الشقة، التي هي عمة بعض الشباب وخالة البعض الآخر.

- لماذا يا أمي فعلت هذا.؟! تتكلفين خدمة هؤلاء وترسلين لهم من آن لآخر بعض الطعام.!! ما لنا بهم.؟!

قالت:

- أطعم الفم تستحي العين.

لم أفهم كلامها.. ولكنني لاحظت أنه كلما تصادفت في الطريق مع شاب منهم، أجده يغض الطرف ويتنحى عن طريقي.. وذات يوم كنت عائدة من المدرسة مع زميلتي، تطفل علينا بعض الشباب الذين يقفون أمام باب مدرسة البنات في موعد خروجهن.. كان من بينهم شاب أكثرهم سماجة وسخفاً، لم ينفع معه زجر ولا هش ولا صراخ.. فجأة انزرع أمامي الشباب الثلاثة، يرفعونه من كتفيه ويلقون به بعيداً ويحذرونه الاقتراب مني، أو من أي بنت تمشي معي وإلا سيبيت حينها في الجبس[1].



(١) القاهرة في: ٢٠١٦.

أبي أخُو البنات

لما أسرع أبي فجأة إلى البلد يقف مع ابنة عمه في مُصابها وبقي هناك إلى ما شاء الله، لم يكن ما فعله شيئًا غريبًا ولا مبالغًا فيه.. فهي العادة وهو الواجب وهي الوصية والمسئولية.

معروف لكل الناس أن أبي هو الوصي على بنات عمه الخمس.. يزوّج من يطلبونها للزواج، ويطلّق من استحالت عشرتها، ويسلم الميراث لمن بلغت سن الرشد، ويحل المشكلات ويأتي بالمسروقات من المواشي دافعًا ديتها من جيبه، ويفعل الكثير والكثير.

ونحن نحب عماتِنا هؤلاء من حبه لهن.. فكثيرا ما يأتين لبيتنا للزيارة تارة، ولقضاء حوائجهن تارة.. هذه لشراء ما يلزمها من تأثيث لبيتها الجديد، وتلك لمراجعة الطبيب، وأخرى لزيارة أولياء الله الصالحين.

تنزل معهن أمي في أغلب الأحيان وترسلني معهن في الأمور البسيطة.

غياب أبي في البلدة هذه المرة كان لكي يحصر ويتسلم نصيب ابنة عمه التي مات زوجها الثري خلال العام، وقد انتظروا تأدُّبًا عددًا من الشهور قبل أن ينظروا في أمر الميراث.. تسلم أبي لها ميراثها من أرض وبناء وجاء بها إلى بيتنا لكي تستجمَّ من عناء الفقد وخلافه.

طالت مدة بقائها عندنا.. وكلما وجدت نفسها محرجة تقول على استحياء:

- يكفي هذا يجب أن أرجع إلى البلد، فنتمسك بها جميعا لتبقى ونقول لها:

- أبي أوصانا ألا تمشي حتى يعود.

كان أبي قد تركها عندنا وذهب لقضاء فريضة الحج والعمرة.. ويبقى قليلا يتابع بعض الأعمال هناك.. وهي طيِّبة المعشر حلوة الحديث خفيفة الحركة فلم نشعر أنها عبء علينا.

أمي تحبها كثيرا وتسعى دائما لتخرجها من حزنها وترى في تزويجها العوض والآمان.

فكم أتت لها من عرسان وهي في ضيافتنا لكنها ترفض، فلا تمل أمي من تشجيعها على القبول، وتحسّن في نظرها المتقدّم، وتقول لها:

- لماذا.؟ أنت لا زلت شابة فهل تعيشين وحيدة مدى الحياة.؟! تزوّجي وجرّبي حظك.. وهي عندما لا تجد عذرا ولا عيبا في المتقدم تقول:

- لما يرجع ابن عمي ونعرف رأيه.

فتقول أمي:

- بالطبع لن يتم أي شيء حتى يعود، ولكن يجب أن يكون المبدأ موجودا وتعطي نفسك فرصة لتدخلي في حياة جديدة.

وعاد أبي وأخبرته أمي بمن تقدموا لابنة عمه وهي ترفض.. تبسم

وقال:

- اتركوها وراحتها.

أخذها أبي ليرجعها إلى البلد.. وتأخر بعض الوقت وعاد.. بعدها كثرت الحجج والمشكلات والأسباب التي من أجلها يجب أن يسافر.

وجاء الخبر.. أبي تزوّج ابنة عمه.. وأكّد المقربون أنها كانت زوجته وقت أن كانت عندنا وترفض الخطاب.. فماذا فعلت.؟!

ألم أقل لكم لا تبالي.. حقك ألا تبالين.. الأمر يخصني وحدي.

جاء أبي ببراءة الذئب ونفشة الأسد، انفردتُ به في غرفته.. قبل أن يسألني عما أريد بادرته:

- علمنا أنك تزوجت ابنة عمك.

حدق بي مندهشا.. تجلّد وقال:

- وما شأنك بهذا الأمر.؟!

تفاجأ بردّي:

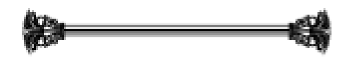
- تتزوج عليَّ وتقول لا شأن لك.!!

- ماذا قلت.؟!! تزوجت عليك.!!

- نعم أنت تزوجت علي أنا.. أمي لم تتكلم لأنك ما عدت تمثّل لها شيئا.. منذ أن عرفت قررت هجرك في صمت، أما أنا التي لا يمكنها هجرك، والتي يتقدم لها الخطاب، فماذا أفعل حيالهم.؟ كأنك تعطي لمن يكون له النصيب تفويضا مسبقا بأن يتزوج عليَّ دون أن يخشى من أب يعترض، ويصون كرامة ابنته.. قل لي هذا الأمر شأني أم لا.

تأمّلني أبي كثيرا ليستوعب كم كبرت، ومدى أحقيّتي فيه، لم يجادل، بل هز رأسه وقال:

- شأنك بلا شك.. اعطيني فرصة أصلح ما أفسدته بإذن الله[١].



(١) القاهرة في: ٢٠١٦.

أنــا.هبّة الذكرى

لا أدري لماذا هبّت هذه الذكرى الآن بعد مرور عشــرين ســـنة على وفاته.؟! نعم وفاته؛ زميل الجامعة.. أعز الزملاء.. من ناحيتي لم يزد عن صــديق، أثق به وأســتمتع بالحديث معه الذي هو أقرب للاتفاق في كل شــيء، فهو شــاعر حســاس وأنا شـــاعرة رومانســـية.. كنا نلقي الشـــعر في الندوة الأســـبوعية بـالكليـة، وكـان لـه رأي في شـــعري ولـي رأي في شـــعره؛ واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية..

كان بعد أن نتدارس الشعر معًا ونراجع بعض المحاضرات معًا، يمدُّني بأخبار الكلية، وهذه المعلومات لم أكن أعرفها إلا منه:

- هذه الفتاة تحب ذلك الشـــاب، الدكتور فلان على علاقة بالزميلة فلانه، هذه البنت من أســـرة طيبة وعريقة أما تلك فمن حثالة البشر.. أسأله:

- كيف تعرف هذه الأخبار.؟!! فيقول:

كل الكلية تعرف هذه الأخبار وتتداولها، أنتِ فقط نائمة على أذنَيْك.. فأقول:

- ولكنك جعلت كل البنات لهن علاقات بالشباب، وهذا غير معقول، فيقول:

- أنت أطهر بنت في هذه الدفعة.

حتى لو أسعدتْني هذه الجملة إلا أنني أظل في عدم تصديق لما يقول.

كنا مجموعة بنات وشـــباب على علاقة طيبة نتعاون في تقديم الخدمات لبعضـــنا البعض؛ ولأنني من القاهرة وأقطن قريبة من الكلية عليَّ مَهمَّة معرفة النتيجة وإرســالها بخطابات مسجلة لزملاء الأرياف.

مرَّ العام الدراســـي الأول الذي يكون فيه الطلاب أكثر انتباهًا لما يدور حولهم، تعرّفنا على بعضـــنا البعض وتعرفنا على أساتذتنا، ومنهم من كنا نعرفهم من وسائل الإعلام قبل أن ندخل الكلية ونلتقي بهم وجهًا لوجه.

وجاء العام الدراسـي الثاني وتقدّم لخطبتي من وافقتُ عليه، وهنا فوجئت بزميلي المقرَّب غاضبًا يرفض هذا الخطيب بشدَّة ويحرِّضــني على الرفض بحجة أنك مازلت تدرســين وعليك الانتظار حتى التخرج، سيأتي حينها من هو أفضل منه و.. و.. ولم أقتنع، ولمّا وجدني متمسكة به غضب مني وخاصمني، ثم عرفت من زميل آخر أنه يحبُّني وكان ينوي التقدُّم لخطبتي بعد التخرج.

يعزُّ عليَّ خصامه ولكني أبدا ما تخيّلته زوجًا.

مســـاعي الزملاء كلِّلت بالنجاح في إزالة الجليد بيننا، والحمد لله استطاع أن يؤقلم نفســه على تقبل الأمر، وإن ظلت مشـــاعره ملتهبة، وظلت مشـــاعري نحوه عادية حتى بعد معرفتي بنيته تلك.

ومضــيت في إتمام عقد قراني مع احتفاظي بالزميل الصديق الذي تقبل الأمر وأرسل لي تهنئة عبر الأثير وأغنية؛ «القلب يعشق كل جميل»..

سمعتها في الإذاعة مع ذكر اسمي.

كنت أظن أنه نسي وصار يعاملني كزميلة مقرّبة، ولكن للأسف وجدته حزينا يذبل يوما بعد يوم، وكان يخفي حزنه كلما رآني ويتصنع الضحك والمرح، ويحاول أن يكون طبيعيًّا.

وتأكدت من ذلك من قلة مشاركاته في المحاضرات كما كان.

اقترب العام الثالث على الانتهاء وكنت أفكر في التقدير الذي حصل عليه في نهاية العامين السابقين، وأنه بالتأكيد لن يصل إليه هذا العام لما يشعر به من إحباط.

فكرت كثيرا كيف أخرجه من هذه الحالة دون أن يظن خطأ بتحول مشاعري نحوه، كيف أبث فيه الأمل، وأعطيه دافعًا على التفوُّق، كيف أساعده.؟! بل يجب أن أساعده.؟

تحركت بداخلي صفة المبدعة وشقاوة الشاعرة، وعرفت أن إخراجه من حالة الكآبة التي سيطرت عليه وبعث الأمل فيه لا يكون إلا بحب جديد.

جلستُ مع نفسي وأمامي أوراقي التي تعودت أن أكتب فيها قصصي وأشعاري وبدأت أخط له خطابا.

عزيزي فلان:

«أنا فتاة في الصف الأول بالكلية، رأيتك تلقي الشعر في ندوة الكلية فشعرت بقلبي يخفق بشدة، وبمشاعري تتحرك نحوك.. شعرت أن كلمات القصيدة موجهة لي وحدي.. لم أنم ليلتها حتى كتبت لك هذا الخطاب.

شاعري الجميل:

أولا يجب أن تعرف أنني على قدر من الجمال والرقة، إذا كنت غير مرتبط بأخرى وليس عندك ما يمنع من أن نلتقي ربما ينمو بيننا شيء جميل، إذا رغبت فضع علامة صح على لوحة الإعلانات الموجودة بوسط الكلية، إذا رأيتُ أنا العلامة فسأرد عليك بمثلها.. سأنتظر منك الرد.. إلى اللقاء».

وضعتُ الخطاب بصندوق الخطابات بالكلية وشاهدت من بعيد مسئول الخطابات وهو يسلمه إليه، ثم أخذت أراقب اللوح الأسود الذي يجب أن يضع عليه علامة صح بالطباشير، ولكن ما حدث فاجأني وما كان يخطر على بالي.

جاءني بالخطاب متهللا.. يريني إياه سعيدا به.. فقرأته بناء عن رغبته فقال وهو يلهث:

- ما رأيكِ.؟!

- المهم رأيك أنت.

- رأيي إنها إنسانة جميلة وراقية، رومانسية كما أريد، سأضع لها العلامة.

- هذا شأنك.

وضع العلامة على اللوح ووقف يراقب كل بنت تقترب منه.. لكنها لم تأتِ، فانتظر اليوم الثاني والثالث حتى بدأ اليأس يتسرب إليه ولكنه فوجئ بخطاب آخر.

«شاعري الجميل:

فرحت جدا باســـتجابتك لدعوتي وكان يجب أن أرد عليها لكني وجدتك لا تفارق اللوح ولا تحضــــر محاضـــراتك وهذا آلمني جدا على عكس ما توسمت فيك من رزانة وطموح، ماذا يفيدك أن تقبض عليَّ متلبســة.؟ أرجو أن تعطي فرصــة للخيال يأخذ وقته، وألا تخيب أملي فيك.. سأحضر ندوة الشعر القادمة وسأحاول من العام القادم أن أشارك بها، أيسعدك أنني الأخرى أكتب خواطري.!!

سلام يا أعز إنسان.. لا تنس أن تضع علامة صح».

طار فرحا بالخطاب الثاني وجاءني به.. جلس بجواري بعد انتهاء المحاضــــرة يقرأ لي الخطاب وكأنه يقرأ قصــــيدة شــعر عاطفية شــجية، يتأمل الحروف ويحلل الكلمات ويتأمل الخط الذي هو خط أختي، فيخرج من هذا بانطباع عميق، بأنها بنت رقيقة جدًّا وشفّافة بل هى نوع نادر من البنات، وأنها تحبه جدًّا وتحرص على مستقبله.. ثم يتوقع أنها ستعجبه جدًّا شكلا كما أعجبته روحًا، وأنه سـيسـعد بها وأنها بالفعل فتاة أحلامه، ويتوقع أيضــا أنها تشــبهني في كثير من الصــفات وربما في الشكل أيضا.

لم أُدهش للتقريب بيني وبينها ولكن دُهشـــت لمشــاعر الإنســان.. كيف تتحول بهذه الســرعة.. كان غاضــبا لزواجي والآن يعجب بفتاة مجهولة لمجرد أنها أعلنت إعجابها به.!! حتى وإن كان يبحث عن بديل مشابه.!!

طردت أفكاري ســـريعا؛ ربما يكون فيها ما لا تحمد عقباه، وقلت إن الأمر طبيعي ربما يكون غريقا ووجد قشـــة يتشــبث بها، ثم إن حالة الانتشــاء التى تتملكه هذه كانت الهدفَ من رسائلي.. فما الذي يغضبني.؟!

وجلس بجانبي يقرأ الخطاب الثالث:

«آسفة يا عزيزي لم أحضر الندوة الفائتة، خفت من وجيب قلبي أن يفضحني، كنت مضطربة قلقة وكان قلبي يسرع في دقاته فلم أتمالك نفسي تسمّرت عند باب الحجرة وأسرعت هاربة.. ظللت أبتعد وأبتعد حتى سكن قلبي وأعلن استقراره في الفؤاد.. الآن أعترف لك.. إنني أحبك ثم أحبك.. اكتب علامة صح».

زادت سعادته بالخطاب الثالث، والتفت نحوي منتشيًا وقال:

- أتمنى أن أراها.. ماذ أفعل.؟.. قلت:

- ما عليك إلا الانتظار.. وربما لا يعجبك شكلها.. قال:

- كيف وهذه روحها، وهذا أسلوبها.. لابد أن تكون ذات وجه جميل.

- هي اعترفت بحبها لك، فهل أحببتها.؟

قال على الفور:

- نعم.. نعم أحببتها جدًّا.

- وأخلاقها التي لم تعرف عنها شيئًا.. أتعجبك البنت التي تراسل شابًّا وتشغله بها هكذا.؟

فكر قليلا وقال:

- ها أنت تجيبين على نفسك.. لو كانت كما تظنين لأتت وكلمتني مباشرة، لكنها رقيقة مهذبة محرجة فتبثُّ مشاعرها على الورق.

- وإلى متى يستمر هذا الحال؟

- إلى أن تستطيع أن تجعلني أراها.

- وماذا ستفعل عندها؟

- سأعوضها عن أيام القلق الذي سبَّبْتُه لها.

- لكنها لم تضع لك علامة صح واحدة حتى الآن.. فماذا تظن.؟

- خائفة أن أراها.

في اليوم التالي جئت مبكرة جدًّا عن موعد المحاضرة الأولى، وبمجرد وصولي إلى اللوح الأسود ورأيت علامة الصح التي سجلها بالأمس، في لمح البصر كنت قد وضعت علامة مماثلة بجوارها، وأسرعت إلى المحاضرة.. بعد وقت وجدته يسرع نحوي حتى كاد أن يقع على وجهه ويقول لي بصوت متقطع:

- رأيتِ العلامة.؟!!

بهدوء مصطنع:

- أية علامة؟

- لقد علّمت لي في اللوح.

- لم أر شيئا!.. وماذا يعني هذا.؟

- يعني أنها ستكلمني قريبا.

- على الله.

الآن أخط له الخطاب الرابع الذي أردت أن أضـــع بداخله قنبلة موقوتة بالفعل.

«شاعري الرقيق:

هناك أمر يحيرني.. من تلك الفتاة التي تبدو معك طوال الوقت.. وتساجلها في الشعر أسبوعيًّا.. ماذا بينكما.؟! أرجو ألا أكون قد فرضـــت نفســـي عليك ولكنك اســتجبت لطلبي، وهذا يعني أنك موافق على لقائي.. فهل لتضحكا عليَّ معًا.؟!

إن كانت لا تمثِّل لك تلك الفتاة شيئًا فاقطع صلتك بها قبل أن أظهر في حياتك.. إذا وافقت على طلبي ضع علامة صح».

وضـعت الخطاب في الصـندوق.. وانتظرت حتى تسـلمه.. قرأه هذه المرة وحده.. وتردَّد يومين ماذا يفعل.؟!

لم يُرني الخطاب ولم يضـع علامة الصـح، ولم يحجم عن لقائي والجلوس بجواري كعادته في المحاضــــرات.. لكنه في اليوم الثالث وضــــع علامته، وبمجرد أن انتهت المحاضــــرة أسـرع بالانصـراف قبل أن ألحق به، واسـتمر على هذا الحال حتى موعد الندوة المقبلة والتقينا بها:

- أين أنت.؟! لماذا تسرع بالانصراف.؟!

- أبدًا مشغول مع والدي في أمر ما.

- وماذا عن أخبار البنوتة صاحبة الخطابات المعطَّرة.؟!

- لا أعرف عنها شيئًا.!

- لم تعد تكتب لك.؟

- نعم لم تعد.

ضحكت وقلت وكأنني أمزح معه:

- هكذا بدأت تخفي عني أسرارك.

- لا لا لم أُخفِ شيئا، وقام سريعًا من جواري.

فسألته:

- هل ستأتي هي الآن.؟!

- لا أدري.. ربما.. لا لست أدري.

ألقينا الشعر ولم يكفَّ عن التلفُّت يمينا ويسارا متفحِّصًا في الوجوه، مع الحرص على البعد عني كلما اقتربت منه.. وبعد الندوة أسرع بالانصراف.

في البيت جلست أفكر في الرسالة الخامسة حتى استقر تفكيري على الرسالة الآتية:

«شاعري الجميل:

كم أنا سعيدة أنك تغيِّر عاداتك من أجلي، وتتجنب صديقتك من أجلي وترسم علامتك كل يوم من أجلي.. تأكد أنك لن تندم وستسعد حين تراني، وتزداد سعادتك كلما اقتربنا من بعضنا البعض، والآن سأعطيك موعدًا للقائنا، لقد قرب العام الدراسي من الانتهاء اصبر حتى آخر يوم في الكلية، في هذا اليوم سيكون لقاؤنا.. أقول لك لماذا اخترت هذا اليوم؛ لأن بعده أجازة طويلة تكون كافية لأن تفكر هل فعلا وقع اختيارك عليَّ كما وقع اختياري عليك.. وهذا ما أتمناه.. وأيًّا كان قرارك سأقبله بكل حب.. استمر في وضع علامة صح حتى نلتقي».

هذا الخطاب أيضــا لم يخبرني بـه.. وظل يضــع علامته يوميـا كمـا طلبتْ، وظـل يهرب من لقـائي وأنـا لا أحـاول الاقتراب منه وأكتفي بمراقبته من بعيد.. فلما وجدني أتجاهله جاءني على حذر وسلم عليَّ.. فاندفعت فيه:

- مـا هي حكـايتـك.. لمـاذا تتهرب مني.. هل طلبـت منـك السنيورة ذلك.؟.. قال:

- أتعرفين ماذا أتمنى؟!

- ماذا..؟!!

- أن تتعرفا على بعضكما البعض وتصيرا صديقتين.

- ولماذا لم تطلعني على خطاباتها الأخيرة.؟!

- لم تعد تكتب.

- أنت تكذب.. أنت تضع علامة الصح يوميا فلابد أن هناك اتفاقًا ما.

- كن صريحًا إذا كنت فعلا تريد استمرار صداقتنا.

- نعم هناك خطابان لم أُطلِعك عليهما، كنت محرجًا منك.

- ولماذا الإحراج، أتمنى لك الســعادة.. كما أنني ســعدت بعودة نفسك المبتهجة وإقبالك على التحصيل كما كنت.

- نعم نحن أخوان، ويَسعد أحدنا لسعادة الآخر.

- مادام الأمر كذلك ماذا عن آخر خطاباتها.؟

- ستقابلني آخر يوم في العام.

- لماذا آخر يوم.؟ لابد أنها فتاة معقَّدة.

- لا تظلميها.. بل هي محرجة.. ستنتظر حتى ينصرف معظم الزملاء ثم تظهر لي.

- ولماذا تخفي عني خطاباتها.؟! أهى تشتمني فيها.!!

- لا أبدًا.. لم تأت بسيرتك.؟!!

- إذًا أرني خطاباتها.

- ليست معي.

- بل معك.. أرني هذا الكشكول.. أليس هذا هو الخطاب.؟!

نزع الخطاب من يدى وأخذ يمزِّقه.. فقلت:

- إذًا هى تسبُّني ولذلك تمزِّقه، لن أراك بعد اليوم.

- أخفى وجهه بيديه وبكى:

- ماذا بك.؟

- لا أدري مشاعري مختلطة.

- لا تظن أنني أقتحم حياتك.. أنت الذي أريتني خطاباتها منذ البداية فأصبحت شريكة معك.. هل تحبها لهذه الدرجة.؟!

- لا أدري.. ربما أحبها بعدما أراها.

- ولماذا تبكى إذًا.؟!

- لأنها القشة التى جاءت لي وقت الغرق، أتمنى أن تكون مثلك في أشياء كثيرة.. ولأن هذا ما أحسه من خطاباتها.. وأموت خوفًا كلما خطر لي أنها قد تكون عكس ما أحلم.

شعرت بمدى جرحي له.. أو بمدى جرمي، ما كنت أعرف أنَّ بهذا الرقي.. ألم يقولوا من القلب للقلب رسول.؟!

فلماذا لم يصلني رسوله.؟!

لماذا لم تكن مشاعري نحوه بهذا القدر من التماهي والرقة.؟! وماذا أفعل مع هذا الشاب الذي أعزّه جدًّا ولن أتزوجه، فأنا على وشك أن أزف.. وزوجي ليس به عيب.. غريب جدًّا أمر القلوب.. كيف يعتبرني أملاً يخشى عدم تحقيقه، وأعتبره أخًا وصديقًا.؟!

ألهذا الحد هو صاحب قلب مرهف حتى يشعر أن صاحبة الخطابات تشبهني.؟!

ثم كيف أصدمه وأخبره أنها أنا فأضيع منه مرتين.؟!

لو انهال عليَّ ضربا حينها فلن ألومه.. لقد ظلمته بهذه اللعبة السخيفة.. وليس لي عذر فيها.. كنت أريد أن أخرجه من حزنه فأورثته حزنًا أشد.

حزنت لأجله.. مرضت لأجله.. وانقطعت عن الكلية أسبوعًا.. كان يسأل عني بالتليفون كل يوم، ويحزن لمرضي، ولما تماسكت وعدت إلى الكلية.. بادرني قائلا:

- هل رأيت علامة صح على السبورة.؟

- نعم التي رسمتها أنت..

- لا بل هى.

كيف هي.. زادت دهشتي:

- هي.. هي من.؟!!

- البنت التي ترسل الخطابات.

- وضعت العلامة وأنا في الأجازة.!!

- نعم.. لماذا الدهشة.؟! كل يوم تضع علامة صح وأحيانا أكثر من علامة.

- يا ربي هل أنت مجنون تتخيل العلامات.

- تعالي وانظري بنفسك.

- فعلا العلامات كثيرة وهذا ليس له سوى تفسير واحد أن الزملاء لاحظوا العلامات، فخمّن أحدهم أو أكثر أن لها مغزى فأراد أن يمزح.

أنا أيضًا المذنبة، كل يوم تتعقّد فيه الأمور أكثر.. لكنه حسم أمره في أن يظل بجواري، ولما يقابلها سيفرض عليها أن نكون صديقتين، وعليها أن تقبل بالأمر الواقع، وها هي ذي الأيام تقترب، وها نحن ننتهي من آخر امتحان، وإذا به يسلّم علي ويقول:

- أراك على خير في العام الجديد، أما أنا فسأنتظرها كما تواعدنا.

ترددت في التحرك.. هل أذهب إلي بيتي مرتاحة وأدعه للمجهول.!!..

قلت له:

- سأنتظر معك قليلا.

- لا.. لا.. لن تقترب مني طالما أنت هنا، أرجوك اذهبي.

- لكنها لن تأتي.

- بل ستأتي.. أنا متأكد.

- لماذا تحتدُّ هكذا.؟! قلت لك: لن تأتي.

- وكل هذه الخطابات والعلامات التي تضعها على السبورة.. ما تفسيرك لها.؟! ستأتي.

- العلامات هناك أشخاص يمزحون بها، والخطابات أنا أكتبها.

لم يلتفت إليَّ:

- تقولين هذا حتى أمشي وأدعها.

- انظر.. هذه صورة من الخطاب الذي مزّقته.

- ماذا.؟!

التفت إليّ مسرعا، ناولته الخطاب، تفحّصه.. ثم ثبّت نظراته على وجهي وتوقعت ثورة عارمة أو صفعة قوية، ولكن دائمًا رد فعله عكس ما أتوقع.

فبعد أن أطـال النظر فيَّ وفي الخطـاب، انفرجت شـــفتـاه بابتسامة خفيفة..

وقال:

- كما توقعت تمامًا.

- توقعت أنني كاتبة الخطابات.!!

- لا توقعت أن الحياة معك لا يتســرب إليها الملل.. يا بخت زوجك[١].



(١) أعدت سهرة إذاعية.

زوجة أبي حلم لم يتم

كانت في الخامسة والعشرين وكان في السبعين.. حدث يتكرر، مقدِّمته واحدة، وهدفه واحد، نتائجه ليست واحدة، سعادة أهلها بالشيخ لا توصف.. لماذا يرفضونه وهي المطلَّقة بسبب استحالة الإنجاب، وهو أرمل ولديه المال؛ فضلاً عن كونه رجلَ سياسة ووجاهة؛ فهو عضو مجلس محلي قريته وكبيرها.؟! باختصار هي عز الطلب لرجل لديه عدد من الأولاد، أصغرهم أكبر منها سناًّ.

هو أيضا عز الطلب بالنسبة لها؛ فيوم أن يكون عمره طويلا أمامه عشر سنوات على الأكثر، تكون بعدها لا تزال في عز الشباب؛ ولكنها ستصير غنية، ويمكنها أن تتزوج وتعيش حياة الرغد، والعيش الهنيء.

هجر المدينة وعاد لقريته بعد وفاة زوجته أم الأولاد.. فتح في بيته محلا وسجَّله باسم الزوجة الجديدة.. صالت وجالت في البيت بجميع أدواره، ومحل أشرفت بنفسها على البيع والشراء فيه، والتسليم والتسلم لبضاعته، وشقق البيت كلها تحت تصرفها.

من تتزوج الرجل الطاعن في السن وهي في شبابها لا ننكر عليها مطامعها، وحقها في «التكويش» على كل ما تطوله يدها من أموال، منها ما يُكنز مالاً، ومنها ما يتحوَّل إلى ذهب يملأ اليدين والصدر.. ولم يقف الأمر عندها، فأخواتها تأتين بحجة المساعدة وتعدن محملات بما في المحل من لوازم بيوتهن، وأيضا بالأموال من يد أختهن سيدة كل شيء.

الرجل في هذه السن لا يهمه سوى مأكله وملبسه، والجلوس عند باب المحل يستقبل الشكاوى ويحكم فيها، فضلا عن مداعبة الأطفال وتفريق الحلوى عليهم.

من تتزوج الرجل الطاعن في السن وهي في شبابها، يكون لديها الأمل في الحياة بعده، وبما أن المال في يدها فلابد من أن تستعد لذلك اليوم القريب في حساباتها من الآن.. فإذا مر الذي يبيع الملابس الجاهزة والأقمشة وزجاجات العطر وأدوات الماكياج، فهي لا تشتري لتلبس أو تتعطر أو تتزين؛ بل لتخزنه للمستقبل.. فلديها دولاب لحفظ حاجياتها في بيت أمها الذي صار بالمسلح بجهدها وأموالها، وهي النبع الهنيء لأخواتها اللاتي تعلَّم أولادهن بفضل سخائها.

وكلما رفرف الحلم الوردي زادت شراهة الشراء والتكويش فيها.. وليس هناك من يحاسب أو يجادل معها فيما تفعل، أولاده جميعا في غني عن البحث عن أموال أبيهم والسؤال أين تذهب.؟ والحقيقة أنه زهد وغنى نفس أكثر من كثرة الأموال بأيديهم، فعاشت بعيدة عن أية منغصات من بناته وأبنائه؛ فأولاده جميعهم يعملون ولهم بيوتهم ولا يحتاجون سوى زيارة أبيهم المستمرة والإطمئنان عليه.. وفي كل زيارة يحملون الهدايا له ولها.

كنا نمضي الوقت ونعود إلى بيوتنا، فلا مكان نبيت فيه في هذا البيت بتعدد أدواره؛ فشقة لنومهما، وشقة لخبيزها ونشر الملابس وتجهيز الفطير، وكعك العيد بسخاء لنا ولأهلها، وأربع شقق أخرى تتحصل على إيجارها، وسطوحا به عشش وحظائر.. فضلا عن معاشه من التأمينات كصاحب عمل، معها بطاقته وتُصرفه وحدها.. ومع كل هذا تدَّعي العَوَزَ وسوء الدخل وقلة الرزق.

نأتي بأطفالنا، فما أن يتجمعوا حتى يبدأوا على الفور لعبتهم المفضلة، ولعبتهم هي البحث عن كنز علي بابا، وعلي بابا يعنون به «زوجة أبي» وهو البحث في كل مكان عن نقود تخبئها هنا وهناك.. فمنها ما يكون تحت قاعدة التليفزيون ومنها تحت المرتبة ومنها في دولاب المطبخ وعلب التوابل.. ومنها ومنها، والأولاد بصغر سنهم وقلة أحجامهم يندسون خلف الدولاب وتحت السرير يخرجون ما يخفى، ويأتون بكل هذا إلى جدهم:

- افتح ياسمسم حجرك.. خذ كنز «امرأتك».

يبتسم وينادي عليها فتأتي، يعطيها ما في حجره:

- خذي يا «هبلة».

تضحك:

- «جاتكم إيه يا ولاد».. عفاريت صحيح.

كثيرا ما كنا ندافع عنها نحن أولاده أمام بعضنا البعض من بعضنا البعض، فإذا احتج منا أحد قائلا:

- إنها تسرق أبانا وإنها تجهز نفسها وتستعد لعرس جديد.. أو .. أو.. انبرى آخر منا قائلا:

-حقها؛ هي زوجته ومن حقها كل ماله مادام برضاه، ومن حقها الأمل في المستقبل، ولماذا تتزوجه وهذا حاله إذا لم تستفد من ورائه الأموال.؟!!

وهكذا نراهما زوجين متكاملين، كل منهما يعطي الآخر ما عنده، ويأخذ ما يرضيه.

ومرت السنوات العشر والحال كما هو، وسنوات بعدها سنوات وهي تسأل نفسها:

- متى.؟!

وتوقفت عن السؤال، جاءها ما يشغلها، أمراض معتادة.. السكر والضغط، ولهما تبعات مزعجة مع الاهمال، انشغلت بخرّاج عند كعب قدمها، عالجته فأبى الانصياع.. زاد وكبر ونخر في العظم، قرر الأطباء بتر أصبع فثانٍ، ثم قرروا بتر القدم.. وهنا رفضت بشدة:

- سأعالجه مهما كلفني.

وما عطب لا يعود.. ظل يستنزفها جهدا ومالا وهو في ازدياد.

كان أخي يساعد كثيرا بأخذها للطبيب وإحضار الدواء، وظل السوس ينخر في العظم، وظلت تغيّر عليه كل يوم معتقدة أنها ستشفى في يوم ما.. وزاد السكر فضعف البصر واحتاجت لعملية مُكْلفة، فطلبت من أخي مصاريف العملية لثقتها أنه لا يتأخر كرامة لوالده.. فلما قال لها: بيعي سوارًا مما في يدك.. أخفت كل ذهبها عند أخواتها وحرمت نفسها من التمتع به.

وعشر سنوات أخرى أمضتها في أحضان أمراض تنخر في عظمها وأعصابها محرومة من كثير من المأكوًلات، فينقص وزنها وينقص حتى صارت جلدًا على عظم، كسيحة برجلها المريضة.. نعطف عليها ونتأمل حكمة الله فيها.

فمنا من يشفق عليها بعقله ويقول: ذنبنا وذنب أبينا.

ومنا من يشـــفق بقلبه ويتذكرها وقت أن كانت فرسًـــا واقفًا مشـــرئبًّا بشـــبابها وحمرة خديها، ويقارن حالتها الآن فيحوقل ويستغفر.

صرختْ في أبي ذات يوم من الألم قائلة:

- كل قرش أخذته من ورائك دخل على جسمي نار.

هذه الصـــرخة لم يســـتوعبها فقد كانت ذاكرته تخونه منذ تخطى التسعين بسنتين حتى صـار لا يعرف أسماءنا، ولا من راح ولا من أتى، واحتاج لخدمة زائدة وغذاء مخصوصا وهي لا يمكننا.

زاد حرصـــنا علي أبينا فأكثرنا من تداوله بيننا قائمين بكل احتياجاته ماديا ومعنويا، وتركها تتحصـل على كل أمواله وحدها، الحقيقة ليس وحدها فأخواتها يخدمنها ويأخذن الأجر مضاعفا.

ولكل أجل كتاب مهما طال، مات الوالد.. وانتهت مراسم دفنـه وأيـام العزاء الثلاث، وحـان وقـت عودة كـل منـا لبيتـه وإغلاق بيته والتنبيه على السكان بترك الشقق؛ فكل منا له شقة سوف يتسلمها.. ولا مشكلة أبدا معها في الميراث، فقد كتب لنا أبي البيت وقسَّمه علينا، وكتب لها أرضـا أضـعاف نصيبها في البيت، وتسـلمتها من سـنوات واسـتفادت بريعها طوال حياته، فكان عليها أن تكون أول من تخلي مكانها.

قال أخـي:

- لا يصح أن نتركك وحدك هنا.. وأنت بدون رجل.. كل ما تريدين أخذه من البيت خذيه، وكل ما في المحل من بضـــاعة هو لك.. ما رأي البنات.؟

أعلنـا جميعـا الموافقـة.. تليفون منهـا إذا بثلاث ســـيارات نصـــف نقل.. وعدد من أخواتـها وأبنـائهم، انتشـــروا يعبون الســـيارات بكـل مـا في الشـــقتين حتى الســـرير والثلاجـة والتليفزيون وكل ما في المطبخ والبصـــل والثوم والســـمن و.. و.. كانت الكراسـي ترمى من البلكونة فيستقبلها آخر يقف فوق السيارة.

الحقيقة لم ينســوا شـيئا، وما علينا ســوى أن نهز رؤوســنا، ونتعجب مثل الرجال والنســاء والأولاد الذين تجمهروا بالشـــارع لمشاهدة المنظر.

أمـا مـا في الدكـان من بضـــاعـة فســـبحـان الله جـاء المورد بالمصـــادفة، علم بالخبر فبكى كثيرا ثم أخذ كل ما هو مقفل، ودفع ثمنه لها والباقي جمعته وأخواتها في أكياس ووضـــعته بجوار ما أخذوا من أثاث.

وانتهى الموقف أمام أهل البلدة، وقد تكفلنا بإســـكات من تطوع بقول:

كيف نتركهـا تـأخـذ كـل شـــيء وهي التي جـاءت بلا أي شيء.؟!

وكيف هي وأخواتها بهذا الجشع وهذه الجرأة.؟!

ونحن لا نزيد عن كلمة: مسامحين.. مسامحين.

الحقيقة هي لم تذهب بكل هذا فقط.. وهذا هو العجب، فقد ذهبت بخراج جديد في قدمها الأخرى.. القدم السليمة، ففي يوم الوفاة شعرت به، وفي اليوم التالي أخذها أخي للطبيب، وجاء لها بالعلاج.. بعد أسبوع صرخت لنا في التليفون:

- الحقوني.!!

أسرعنا إليها.. عرضناها على الأطباء والمستشفيات، الكل قرر بتر القدم.. لا إله إلا الله، بترت القدم التي كانت سليمة أولا.. بعدها بقليل بترت القدم المعطوبة من قبل، وبدلا من أن تلبس جهاز العرس لبست جهازي القدمين.. ولم يمر العام الثاني على وفاة الوالد إلا ولحقت به.

ماتت دون أن تلبس ما جهزت من ثياب ولا ما شرت من ذهب ولا ما باعت من أرض والدنا دون علمنا.. وكما قيل: «مال الكنزي للنزهي».. ذهب كله لأخواتها شرعا وحلالا[١].



(١) موقع الألوكة - ٢٠١٥/١٢/١٧.

ابنة الخال.. حكاية تتكرر

كنا نسميها ابنة الخال، ونسميه ابن العم؛ فابن عم العم عم، وابن عم الخال خال.

وأمي التي تحرص على صلة الرحم مهما علا ومهما نزل، لا تكفُّ عن تفهيمنا القربى والنسب والأصل والمنبع، وشجرة العائلة وارتباطها بالأصـــول والفروع والعائلات الأخرى، لم نجد عائلة من عائلات قريتنا إلا ولنا معها نسبا وصهرا.

وبيتها المفتوح للقريب والبعيد ومن يمتُّ بصـــلة، فمن يرجو العلاج أو النزهة أتى إلينا، ومن تريد زيارة أولياء الله الصـــالحين أو الذهاب للحمَّام أتت إلينا، ومن يحلو له أن يموت في بيتنا يتحقق أمله.

وأمي تســـتقبل هذا وذاك بترحاب وابتســـامة عريضـــة، وتنهض لتقدِّم الإكرام الزائد عن الحد، حتى إننا كنا نعترض أحيانًا علي الإفراط في الكرم، فتلقي علينا الآياتِ والأحاديث التي تحضُّ على إكرام الضـــيف والهشِّ في وجهِ أخيك، وأن البسمة صدقة والكلمة الطيبة صدقة و و.. إلا هذه الزيارة.

الأمر كان عاديًّا في البداية.. جاءت الخالة وابنتها، جرينا عليهما أنا وأمي وأختي كالعادة، واحتضـــنَّاهما وفرحنا بهما وأســـرعنا في تجهيز الغداء.. ثم انفردت الخالة بأمي في غرفتها.. وكانت ابنتها معنا في غرفتنا.. فوجئت بأمي تقتحم علينا الغرفة وتنتزعها من جوارنا وتقول لها في حدَّة:

- اذهبي عند أمك.

ثم تحذِّرني وأختي بوجهٍ مكفهرٍّ من الكلام معها، وأنه علينا تجنُّبها مدة بقائهما عندنا، كمَا حذَّرتنا من السؤال عن السبب.

لم يكن أمامنا سوى هزِّ رأسينا بالموافقة.. ولكن الفضول يقتلنا، نتساءل حتى لو لم نتلقّ جوابًا.

- ماذا حدث يا أمي.. هل مات زوج الخالة.؟

- يا ليت.

- مات ابنها الوحيد.؟!

- يا ليت.

- وهل هناك أكثر من هذا.؟!

اكتفت بالصمت، فالتزمنا السمع والطاعة.. رغم التوتُّر الذي نعيشه؛ الخالة حزينة وابنتها شاردة، وأمي واجمة، والحال لا يصلح على الإطلاق لأية مجاملة.

مرَّ أسبوع على هذا الغموض، لا نعرف سوى ما نراه بأعيننا، تخرج معهما أمي كل يوم ويَعُدْنَ ثلاثتهن واجمات منهكات، ثم الأكل والنوم والخروج الباكر والوجوم والكدر وعدم الفهم.

أخيرًا عرفت أنهن يترددن على الأطباء من أجل ابنة الخال التي لا نعرف علَّتها حتى عدن بها في غاية الإرهاق.

قالت أمي: إنها عملت عملية استئصال..... وسكتت.

أمضت الخالة الليل بجوار ابنتها تراعيها وتبكي في صمت، وباتت أمي إلي جوارنا تنتفض ومتشبِّثة بنا، ولما كان الصباح أخذت الخالة ابنتها وسافرتا إلى البلد.. عندما قلت لأمي:

- إن البنت لا تزال مريضة، دعيها حتى تتحسَّن صحتها.

هزَّت رأسها بالنفي وقالت:

- تستكمل شفاءها ببلدها.

الشـــئ الغريـب أن أمي وكـأنهـا كـانـت على موعـد مع خروجهما من باب الشقة حتى راحت في غيبوبة طويلة.

تناوبتُ وأختي السـهر والتمريض لأمِّنا الحبيبة، والصـمت يلفُّنا لكنه لم يمنع تســاؤل العيون.. وهز الأكتاف وقلب الشــفاه كلما عجزنا عن التفسير.. وكلما أفاقت سألناها:

- ماذا جرى يا أمي.؟!!

احتضنتنا معا، وبكل ضعف الدنيا ظلَّت تعطي أوامرها:

- إذا ســـافرتما. إلى البلد لا تمرَّا على دار هذه، ولا تكلِّما ابنتها، والأفضل ألا تسافرا على الإطلاق.. ثم سمعتها تتمتم:

(ربنا يكفينا شر المستخبي)

- أريد أن أفهم، وأقتنع، كما عوَّدتِنا يا أمي.

- ليس كل ما يعرف يقال.

- خلافات في الميراث.؟

- إذن في الأمر سوء.

عرفتْ كيف تخرصـني.. امتثلتُ لرغبتها وذهبت أنا وأختي نمرِّضــها، ونشــاهدها وهي تنام مقشــعرة، وتصــحو مفزَّعة، وتُكثر من الاستغفار، وهي تأخذني وأختي في حِضنها وتبكي، وتدعو للخالة بالصبر على بلواها.

نفكر أنا وأختي بصوت عالٍ.

- أو تظنين أن مرض البنت بمرضٍ مُعْدٍ، هو سبب حزن أمِّنا لهذه الدرجة.!!

- ربما.!! فأمي لا تكذب، وهي تخاف علينا كثيرًا.

لمّا تماثلت أمنا للشفاء قليلا وجلست شاردة مُغْرَورقة، ودون أن نسألها قالت:

- ذنب كبير ارتكبته.. أرجو الله أن يغفره.

- أي ذنب يا أمي.؟

- وهل هناك أكثر من قتل النفس.!!

أخفت وجهها بكفَّيها وراحت في نوبة حارة من البكاء وهي تكمل:

- كُتب عليَّ أن أشارك في قتل طفلٍ مكتمل بلا ذنب.. كان ينبض أمام أعيننا.

فهمتُ أخيرًا.. فغرتُ فاهي.. أكملتْ:

- الموعودة بقلة الراحة طوال عمرها استدارت وهي تنزف تريد أن تضمَّه إلى صدرها، لم تستطع.. واراه الطبيب بسرعة ونهرتها أمها.

- ابنة الخالة.. فعلت هذا.!!

- خدعها ابن الحرام ورفض أن يسترها.

- لكن حرام يا أمي كيف تشتركين في هذا الذنب.؟!!

- الفضيحة شيء رهيب نعايَر به لسابع جدٍّ وسابع حفيد.. فعلته من أجلك وأجل أختك.

ولكن.!!

- لقد لجأتْ إلي المسكينة معتقدة أن الخلاص عندي.. ماذا كان في يدي غيره.. واستأنفتْ:

- يمهل ولا يهمل.

- ماذا تقصدين.؟!! أن الله سينتقم منه.

- ليتها تأتي من الله قبل أن يتورط أبو البنت في قتله.

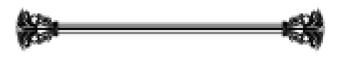
- ماذا.؟!.. قتله.!!

- يستحقُّ! أما رضي أن يُقتل ابنه.؟!.. وأكملتْ:

- البنت اعترفت.. راحوا له يرجونه أن يسترها رفض.. أقسم أبوها أن يقتله.

انعقد لساني ولسان أختي عن الكلام وشلَّ تفكيرنا.. ما هذه القناعة التي تتكلم بها أمي عن الثأر بعدما ربَّتنا على التسامح.؟!

وظلّت الأيام تسلمنا لبعضها البعض ونحن نتوجَّس خيفة ونترقّب أخبارًا سيئة تأتينا من البلد.. حتى بعدما تزوجت إبنة الخال من ابن العم، وأطلق الرجال الأعيرة النارية وهم يزفُّون شاشة العرض المُصان! (١)



(١) الألوكة: ١٠/٣/ ٢٠١٦.

حماتي أرنبة ولود

كنتُ أعرفها من قبل بحكم القرابة.. لكن بعد زواجي عرفتُها عن قرب، لم تكن تلك المرأةَ البدينة كبيرة العائلة التي أراها كلَّما ذهبتُ إلى البلدِ في الإجازات الصيفية، صاعدة نازلة، رائحة غادية، توزِّع أوامرَها وملاحظاتها، والبيت خليَّة نحل لتنفيذ المطلوب والتسابق لنيل رضاها، وكنتُ أراها ذاهبة تتوضَّأ عائدة لتصلِّي في صحن الدار؛ فالكلُّ هنا محارمها.

الآن كبرَت سنُّها وقلَّت حركتها، فجلست متربعة فوق الفرن إذا كان باردًا، بعد أن كانت تجلس أمامه إذا كان ملتهبًا؛ وجلوسها كان جلوسًا مثمرًا، لا عَجزًا، كانت تطبخ وهي متربعة في مكانها، والصغار كثيرون يلبُّون لها طلباتها ويأتون لها بما تريد، تُنزل (حلَّة الأرز) من على النار، تضعها يمينَها، بعد قليل تأتي أرنبة بعينها تزيح (غطاء الحلَّة) برأسها وتأكل من الأرز المطبوخ لتوِّه، وحماتي لا تهشُّها، وإذا دخلت إحدى زوجات ابنها وشاهدت المنظر، لا تستغربه ولا تعترض عليه، أمَّا اندهاشي أنا، فلأنني ضيفة لا أعرف طقوس هذه الأرنبة:

- الحقي يا نينة الأرنبة.

- دعيها يا حبيبتي، (الحلَّة) لن تنقص.

أسأل: ما قصَّة هذه الأرنبة.؟ تطوعَت إحداهنَّ:

- هذه الأرنبة غالية جدًّا عند حماتك، والحقيقة: إنَّها أرنبة يثمر فيها الخير؛ فهي ولود ودود، في كلِّ شهر تلد عددًا كبيرًا من الأرانب تفرِّقه علينا.

أعجبتُ أنا الأخرى بتلك الأرنبة بسبب الوفاء والود الذي يكنُّه لها كلُّ أهل الدار.

والدار التي تضمُّ حماتي بأولادها، تقع بجوار دار (سلفتها)، بأولادها؛ أي: إنَّ الدار كانت للأب الكبير وآلت إلى الأخوين بالمناصفة، فاقتسماها بنصف جدار لم يمنع الذهاب والإياب من هنا وهناك بين الدارين، وهذان الأخوان ليسا فقط شركاء في الدار، ولكن أيضًا في النَّسب؛ فابن الأول تزوج ابنة الثاني، وانتقل الزوجان إلى محافظة أخرى تبعًا لشغل الزوج.

وحماتي التي هي أم الزوجة كانت تتميَّز بالهدوء الذي يميتُني، خاصة في هذا الموضوع الغريب في رأيي؛ فقد مضى على زواج ابنتها الوحيدة على عدد من الذكور، كثيرٌ من السنين؛ لكن حماتي لا تنسى ولا تتغاضى عن مواسمها وما أكثرَها.! عيد صغير، عيد كبير، عاشوراء، نصف شعبان، فضلًا عن موسم جني المحصول الخاص بالقرية، فيكون لها نصيب يصلها في وقته، فتجهِّز حماتي (سَبتين) كبيرين، تملؤهما (بالفطير) والسمن، والبيض و(الجبنة القريش)، والطيور المذبوحة والحية، وتدفع بسخاء لمن يحمل الزيارة، سواء أكان قريبًا أو غريبًا حتى يوصلها راضيًا.

فإذا تصادف وجودي في تلك الأثناء، أعترض على كثرة الأشياء على اثنين فقط، فطول السنين لم تسفر عن شخص ثالث يشاركهما تلك الوليمة، فتقول بهدوء:

- عاداتنا أين نهرب منها.؟!

عرفتُ -وليس سرًّا- أن عدم الإنجاب كان لِعَيب في الزوج، وقد خيَّرها والدها في أن يطلِّقها منه فرفضت

وقالت:

- ابن عمي ولا أتخلَّى عنه.

عرفت أيضًا أن أهله لم يسمعوا عن طبيب مصري أو أجنبي إلَّا وذهبوا إليه، فيؤكِّد كل طبيب أنه لا أمل؛ فحيوانات الزوج تموت قبل أن تصِل إلى الرحم.

أهله يعرفون هذه الحقيقة جيدًا، ولكنهم لا يسلِّمون لها.

اندهشتُ وكدت أفقد صوابي حينما سمعتُ أمَّه وأخته تتكلمان مع حماتي بشدة عند افتعال مشكلة، وتقولان لها:

- سنطلِّق ابنتك ونزوِّجه ست البنات، يخلِّف منها زين الشباب، وحماتي ترد بهدوء:

- كفى يا أختي أنت وهي، (بلا وجع رأس).

فترد أخته:

- وجع الرأس لما (تشوفي بنتك) قاعدة جنبك يدها على خدِّها.

- وما له.؟! نصيبها.

أعلم جيدًا أنَّ أهله يعلمون علَّته؛ لكنني تشكَّكتُ من كلامهم وسكوت حماتي، فملتُ عليها:

- ألا يعلمون بأن عدم الإنجاب من ابنهم.؟

- لا تردِّي عليهم، (بلا وجع رأس).

كثيرًا ما كنتُ أتساءل: هل هذه سلبية أم طيبة أم حكمة.؟ لا أعلم!

ثم ماتت.. نعم ماتت حماتي وهي جالســة تطبخ، مالت جهة اليمين وأسلمَت روحها، انطفأت النار منِ تلقاء نفسها، وجاءت الأرنبة ووقفَت عند رأســها ورأيتُ دموعَها، وأســرعت نســاء الدارين، وبينهن أم زوج ابنتها وأختـه اللتـان كـانتـا بـالأمس تناهدانِها وترميانِها بكلام تُريدان به إيجاعها، رأيتهما تبكيان وتقبِّلان يديها وقدميها وتقولان:

- سامحينا يا أم الذوق والأدب.

وتمَّت مراسم دفنها التي حضرتها الملائكة، وأتَت بكلِّ بعيد في التوِّ، وحان سفري للقاهرة، فوجدتُ من تضع بين يدي تلك الأرنبة:

- ما هذا.؟! أرنبة حماتي.! لماذا أنا.؟!

- سنتقاتل عليها، أنتِ بعيدة، فلن نراها وقد ننساها.

مددتُ يدي وحملت الأرنبة وقرَّبتها من أنفاســـي فشـــممتُ رائحة حماتي، رائحة الطيبة والخير والصبر الجميل.. داعبتها:

- ماذا أفعل بك.؟! سأذبحك.؟!

فأسرعت إحداهنَّ:

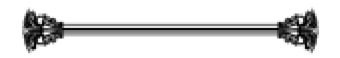
- لا تذبحيها، أوجدي لها مكانًا ولو بمشـاركة أحد الجيران؛ فهي كثيرة الإنجاب والونس.

هززتُ رأسي بالموافقة والاستسلام معًا.. وركبت السيارة وهي في حضـــني.. ظللتُ طوال الطريق أربت على ظهرها، وأدفئها بمشاعري،

وأسألها:

- ماذا تعلمين عن حماتي من صِــفات لا أعلمها.؟! كيف تمَّت الألفة بينكما بهذا الشكل الجميل.؟!

كانت تمرِّغ رأسها في صدري حينًا وتسكن حينًا، وقبيل الوصول إلى البيت لم أجدها، فقد سكَنت طويلًا ولحقت بصاحبتها[1].



(١) القاهرة في: ٢٨ أبريل ٢٠١٦.

سلفتي مركب السلايف

ما كنت أعرف قبل ذلك العمر المديد أن سلفتي تكرهني.. كانت تدعو علي بأكل السم من حقدها لي.. ابتسمت وأنا أستمع لزوجة ابنها وأقول مازحة:

- الحمد لله أنها كانت تدعو فقط ولم تستعمل السم ذاته في التعبير عن كرهها لي.

كانت الكنة وحماتها التي هي سلفتي تتشاجران منذ قليل، وكنت في زيارتهما لما علمت بمرض سلفتي فقلت يجب زيارتها ضمن هذه الجولة السريعة في البلدة قبل سفري للقاهرة، فإذا بي أسمع الصراخ بين الاثنتين من عند الباب.

أخذت أهدئ الكبيرة وأنهر الصغيرة على سوء أدبها:

– كيف تتصرفين مع حماتك هكذا وهي تقترب من التسعين وأنت زوجة أصغر أولادها؟!!

فإذا بها تنظر لي بغيظ وتقول:

- أنها تكرهك.

رددت على الفور:

- وهذا سبب سوء خلقك.. لا شأن لك بي.

- انصرفت الكنة غاضبة واحتضنت أنا سلفتي.. وسألتها:

- أتعرفينني.

ضحكت وقالت:

- طبعا امرأة الأستاذ.

كانت في لهجتها نبرة سـخرية لم أحفل بها.. فهي عادتها الملازمة لهذه الجملة:

- هذا كل ما تعرفيه عني.

- أنت أيضا موظفة.

- مقبولة منك.

تبادلنا أطراف الحديث حتى نامت خلاله فتسللت خارجة.. قابلتني كنتها تقول:

- تعالي أقول لك على سلفتك التي تدافعين عنها.

وانطلقت شارحة دون إذني:

- هذه تكرهك.. من زمان.. لأن حماتك كانت تجلسك بجوار زوجك على مائدة أولادها الرجال لأنك زوجة الأستاذ وأيضا موظفة.. أما باقي الزوجات فيأكلن بعدكم ما يتبقى من فضلات الطعام. وهذه كانت أكثر المتذمرات وتدعو عليك وتقول: «ينزل بالسم الهاري»

ما كنت أعرف وقتها أنه تمييز لمركز ولكن لضيافة.. أنا من القاهرة وآتي البلد قليلا مع زوجي لزيارة أهله وفقط.

وعرفت أيضا أن دعوتها غير مستجابة لما أتمتع به من صحة جيدة، ربتُ على كتف محدثتي وتابعت سيري دون محاولة لجرها لتفصح عن بعض التفاصيل.. ولكنني كنت متعجبة من شعورها؛ ليس نحوي ولكن لأن هذه العادات السيئة في الريف ضاربة بجذورها في النفوس قبل السلوك، كيف تغضب واحدة ممن شاركن في تأصيل عادة تفضيل الرجال منذ ولادتهم، والتعود على الأكل مما يتبقى بعدهم

كانت الدار كبيرة وكنت أرى التصـــرفات كلها متاحة أمامي.. رأيتها أكثر من مرة تأمر ابنتها أن تأخذ الفوطة وتلحق بأخيها وتقف تنتظر حتى ينتهي من غسل يديه.. رأيتها تسمح للولد الصغير بالتطاول على أخته الكبيرة وتنهرها إذا ردت عليه، بل تسمح له أن يتطاول عليها ذاتها، رأيتها وغيرها كيف يدللن الذكور وينعين حظهن في خلفة الإناث، ويحرضن عليها: «اكسر للبنت ضلع يطلع لها أربعة وعشرون».

الآن بعد أن وصلتْ من العمر عتيه صارت تُخرج ما في أحشائها من أحزان، وتفرغ المرارة من ذكرياتها..

استدعت ذاكرتي أحداثا قديمة لم تغب لقسوتها؛ كنا صغارا نذهب إلى الريف أسبوعا أو أكثر في ضيافة عمتي التي كنا نحبها كثيرا وتحبنا وتحنو علينا فلا نمل البقاء عندها.. وذات يوم كانت تطبخ وأصابنا الجوع قبل أن ينضج الطعام.. وأخذنا نصرخ: جوعانين .. جوعانين.. وهي تصبرنا وتصبرنا ولا فائدة، فإذا بها تقول:

«أقلي لكم بيضا تتصبرون به؟» قلنا: نعم.

وضعت عمتي السمن في الصحن فوق النار فاحت رائحته تثير شهيتنا أكثر.. ثم بدأت تكسر فيه البيض واحدة بعد الأخرى، وأنزلت الطبق ثم وجدتها تميل الطبق إلى جهة وبالملعقة تصعد البيض من السمن إلى أعلى فيصير السمن في الأسفل ثم جاءت بقطعة جبن قديمة هرستها في السمن وهي تقول، البنات تأكل من هنا والولد يأكل البيض.. صرخت صرخة رجت أركان الدار، خطفتُ الطبق من يدها وخلطت ما فرقته

وأنا أقول:

- كل يأكل مثل بعضه.

هذه الواقعة حفرت في نفسي خطا عميقا حتى الآن، تحضرني تفصيلها كلما وجدت تمييزا للولد في التعليم، تمييزا في الميراث ولو استدعى الأمر حرمان أخته من إرثها فأقول:

- هي بدأت بالطعام فتعود أكل كل شيء... وكله مخالفة لشرع الله..

واقعة أخرى ربما بعد تلك الأولى بقليل لها أيضا خطا في ذاكرتي وهي أن ذهب أخي وحده إلى البلد.. عدة أيام وعاد شخصا آخر.. متمردا ثائرا متحفزا يحاول أن يتحكم فينا أخواته الأكبر.. فإذا أخذ مصروفا يقول الولد له نصيبين هو لا يهمه المبلغ الذي معه المهم أن أخته لا تأخذ مثله، وإذا جلسنا للطعام يقول الولد له نصيبين يقصد إذا أخذت البنت قطعة لحم يأخذ هو قطعتين..

ظللت أتربص به حتى جاءت الفرصة إذ تشاجر مع أخته وأخذ يصرخ فيها أنا الولد لابد أن تطيعي أوامري، وهي تصرخ معاندة.. أسرعت أفض الاشتباك وضربت أختي ضربة على كتفها وضربته هو ضربتين.. اعترض وقال:

- تضربينها واحدة وأنا اثنتين؟!!

فقلت:

- للولد نصيبين في الثواب وفي العقاب.

رغم كل هذه العادات يا ســـلفتي التي لم تقاوميها بل ساعدت وغيرك في نشرها وتأصيلها تغضبين لأن أنثى مثلك في ســـن ابنتك حينها نالت حظا في حياتكن البائســـة.. وتأكلك الغيرة منها بدلا من أن تكون لك حافزا يدفعك لكي تعلمي بناتك وتحميهن من سيطرة ذكورك، ليحققن لك ما كنت تتمنين.

وســـمعت صـــوت أمي من العالم الأخر تذكرني بما كانت دائما تردده:

«مركب الضراير صارت، ومركب السلايف غارت»[١].



(١) القاهرة في: ١١ نوفمبر ٢٠١٦م.

جدي وجدتي البداية

كان يراقبها وهي رائحةٌ غادية من وإلى المدرسة.. ابنة الثانية عشرة، جميلة وصغيرة وقليلة الحجم والطول لكنها تحتكر كثيرًا من ملامح الأنوثة المبكرة.. يلهبه التهاب خدَّيها من شمس الظهيرة، عشق سواد الليل وطوله لأنه يذكِّره بسواد شعرها وطول رمشها، كان إذا شرب الماء تلذَّذ في شربه وكأنه يمتصُّ رحيق شفتَيها الكريزتين، يقابلها عائدة تحجل في مشيتها، تضرب الحجارة في طريقها، وفي يدها شيكولاتة اَشترتها من مصروفها، ولما اقتربت من الترعة وقفت تكمل أكل الشيكولاته حتى فرغت منها، رمت الورقة ووضعت حقيبتها ونزلت حذرة لتغسل يديها، فإذا بقدمها تنزلق وتسقط في الترعة، كان أول من رمى نفسه وراءها وأخرجها من الماء، ولفَّها بشاله يحاول احتضانها، ثم مشى بها إلى بيتها وسلَّمها لأمها التي ما أن عرفت الحكاية وأكَّدها لها بعض نفر مشوا معهما، وحتى هي أكّدت كلامه، فلهج لسان الأم بالدعاءً له والثناء عليه، فهو زين الشباب ابن الناس الطيِّبين أعيان البلد، فردَّ عليها الشاب المحبُّ الشهم قائلاً:

- أنتم أيضا يا خالة أعيان البلد وهي ست البنات.

وظل حبُّه يكبر وقلبه يزداد لهفة عليها، ولكنه الآن بعد تلك الحادثة يمكنه أن يكلِّمها:

- كيف حال ست البنات اليوم.؟

- ما هي أخبار المذاكرة.؟

- العام القادم تنتقلين للصف الأول الإعدادي.؟

- ماذا تتمنين أن تصبحي.؟

- انتبهي لا تنزلي الترعة إلا بعدما تتأكدين أنني موجود.

وهو موجود بالفعل في ذهابها وإيابها.. وهل أحد يجهل مواعيد المدرسة الابتدائية في القرية، التي يسمع جرس البداية.

والفسحة والنهاية كل بيت فيها.؟!

وانتهى العام الدراسي ووجد نفسه في ضيق من غيابها، ولا يعرف سر عدم خروجها من الدار.

ولم يخطر بباله أن التي تخرج أحيانًا في صحبة ذويها ملتحفة ومنتقبة تكون هي.!.

ولما سأل أمه عنها أبلغته بالخبر، لقد بلغت مبلغ النساء لذلك تحجَّبت شأن البيوتات العريقة في القرية يحجِّبن بناتهن فور حيضهن.

-وكيف ستذهب للمدرسة في العام القادم.؟

-لن تذهب تكفيها شهادة الصف السادس، ماذا ستفعل بالتعليم.؟! البنت للزواج

أبدى الفتى رغبته في الزواج منها، ورحّبت أمه وأسرعت إلى أم البنت تنقل لها رغبتهم في النَّسب، وسارعت الأم بدورها إلى أبيها تخبره الخبر.. ورنّت الزغاريد في بيت العروس الصغيرة المَخبية.

وجلس الأب والأم يمليان شروطهما على العريس

بالطبع ستأخذون بنتي إلى بيت عيلة، فيها سلايف تعملن في البيت والحقل.. ابنتي مخبية لن تعمل معهن.. وهذه خادمتها معها تقوم بكل ما يجب أن تقوم به ابنتي.. وأجرها عليَّ.

يوافق والدا العريس على الشـــرط؛ فهما يعرفان عادات بعض البيوتات الثريَّة.

ويســـعد الولد بالكلام فهذا معناه تفرغها له، والائتناس بها وقتًا طويلاً، فضـــلاً عن عدم إنهاك جســـدها وتخشـــن يديها، وإصـابتها بالترهُّل والسـمرة وكثير من الأشـياء التي تصـيب البنُّوتة الغضَّة بعد زواجها .

وجاءت العروس، وظلّت عروسًـــا تجدِّد حنَّتها لعام كامل.. لا أحد يعاتبها على نوم أو يقظة، لا أحد يسـألها لماذا ولا يطلب منها فعلاً، ورغم شـرط أهلها الذين يتحملون شـهريًّا أجر التي تقوم بدورها في خدمة البيت، ورغم أنها عادة معروفة عند بعض البيوتات، فإن السـلايف أصـابتهن الغَيرة منها وامتلأت نفوســهن بالحقد عليها، وكثر اشـــتباكهن مع أزواجهن، وكلما تعبت أجسامهن شاخت نفوسهن وزاد الاشتباك، وبدأ المكنون يخرج بالوقيعة بين العروس وحماتها.. وظلت الحماة تتصـــيَّد لها وتفتعل لها وتدبِّر لها.. حتى أمرت ابنها أن يطلِّقها.

-لماذا يا أمي.؟! هي لم تفعل شيئًا.

-إما أنا أو هي.

ورضخ الابن البارُّ على مضض، نفَّذ رغبة أمه ووضع عصـــاته على كتفه ورحل من البلد.. يتنقَّل من بلد لبلد يعمل بيديه وعافيته لعله ينســـى حبيبته وأنســـه الجميلة المظلومة المخبية التي ضاعت منه بسبب الغيرة والحسد.

وانتقلت العروس الصـــغيرة الجميلة المظلومة والمخبية، التي أفسد حياتها غيرة وحسد وسوء كيل.. إلى بيت أهلها تحمل حزنها، وتجترُّ ذكريات عام من الحب، ظاهره الحنان، وباطنه العذاب.

وكثر خطَّابها، كلهم من البيوتات الكبيرة، كلهم يتفهمون عادات بيتها وشرط أهلها ويوافقون عليه، مادامت ستأتي ومعها خادمتها التي ستقوم بالعمل نيابة عنها.

ووقع الاختيار على أحدهم، لكنه ليس بكرًا، وليس خاليًا، هو يقتني زوجتين وعددًا لا بأس به من الأولاد، أراد زوج الاثنتين زوجة متفرِّغة للحياة الزوجية، اشتاق للدلع والهدهدة، وإغاظة الاثنتين، وانتقلت لبيت الضراير بعد بيت السلايف.

هل كان أحد يصدِّق أو يتنبَّأ أن الجميلة الصغيرة تملك هذا الحظ التعس فيتكرر معها الفعل ذاته، هذه المرة بسبب طمع الزوج في ذهبها، بإيعاز من زوجتيه.. سألها إياه لكي يزيد عدد المواشي في داره وغيظه، قالت :

دعني أسأل أمي فقد أوصتني ألّا أفرِّط في ذهبي دون استشارتها.

أخذته العزة بالإثم؛ كيف تسأل أمها وهو الزوج الذي يجب أن تطيعه بل وتعبده.. ألم تعلِّمها أمها كيف تكون طاعة الزوج قبل أن تعلِّمها الحفاظ على ذهبها.. لتذهب لأمها إلى الأبد .

وتخرج الجميلة المخبية من بيت الضراير بعد عام آخر.. لكنها هذه المرة ليست خالية كالمرة الأولى، فقبل أن ينشف ماء ظهره ملأ رحمها بنطفته.. مما يزيد همَّها ويستدعي حزنها وندب حظها كلما كبرت بطنها ..

ثم وضعت طفلتها الجميلة؛ تأخذ ابنتها في حِضنها تسقيها صبر نفسها وذكرياتها بحلوها ومرِّها..

طار الخبر إلى حيث الهاربُ من الحياة بأن ست البنات قد طلِّقت فعاد مسرعًا يجدِّد العهد بها.

قال له أبوها:

-ليست وحدها هذه المرة.؟

قال: ابنتها قبلها

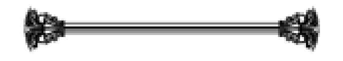
-وأهلك وغيرة زوجات إخوتك.

-سآخذها بعيدًا عنهم جميعًا.

في حيٍّ من الأحياء الجديدة بالقاهرة وقتها، ثم صارت من الأحياء الراقية بعدها، حطَّا الرحال.

باعت ذهبها وشمَّرت عن ساعديها لتسابق العمال في بناء البيت.

شقة كبيرة وحديقة أكبر يغلق بابها في وجه الأشرار، تلاعب خلفه طفلتها.. أمي، التي كبرت وصخبت وملأت البيت فرحًا، طفلة تشبه أمها، تسعد بما يجلبه لها زين الشباب، جدي من لعب وملابس، وما يشملها به من عطف وحنان، ووعد بأن يظل يحبها ربما أكثر من الجنين الذي تكوَّر في بطن ست البنات، جدتي(١)..



(١) القاهرة في: ٢٨ أبريل ٢٠١٦.

المؤلفة في سطور

نادية كيلانى:

• عضو اتحاد كتاب مصر/ عضو رابطة الأدب الإسلامى/ عضو نقابة الصحفيين /عضو مجلس إدارة نادي القصة/ عضو مجلس إدارة نادي الأدب بثقافة الجيزة/ عضو جمعية الأدباء.

• معتمدة مؤلفة دراما ومتحدثة بالإذاعة المصرية.

المؤهل: ليسانس لغة عربية وعلوم إسلامية (كلية دار العلوم).

العمل: صحفية بدار الهلال/ وموقع المشهد الإلكتروني.

الإصدارات:

القصة:

• (حب لم يعرفه البشر) - رواية - المؤلفة ١٩٨٧.

• (اتهام) ٣٣ قصة قصيرة - الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧.

• (إحراج) ٢٢ قصة قصيرة - سلسلة الكتاب الفضي بنادي القصة ٢٠٠١.

• (إلكترومانسي) ١٥ قصة من وحي النت ٢٠١٥.

• (عيني عينك) ١٨ قصة قصيرة – ٢٠١٦.

• (إبليس في أجازة -مسرحية) - (نشر إلكتروني) دار الصداقة للثقافة والنشر ٢٠١٠.

http://www.alsdaqa.com/vb/showthread.php?t=36709

• **وتحت الطبع رواية بعنوان:(أشجان)**

الشعر:

- **ديوان** (بين الغيوم والقمر) ـ مكتبة الآداب- ٢٠١١.

وتحت الطبع:

- ديوان (طفولة المطر) .
- (محمد وصاحباه) سيرة الرسول وصاحبيه شعرا ونثرا.

كتب أخرى:

- (الأبراج) (بحث فى علم الفلك) مركز الراية للنشر والإعلام ١٩٩٦.
- (أيام مع يحيي حقي) ـ سيرة ذاتية غيرية ـ المؤلفة ٢٠٠٥.
- (الحجاب رؤية إسلامية دائمة): ردا على كتاب (الحجاب رؤية عصرية) دار إسلام شمس للنشر ٢٠٠٨.
- (احترم نفسك) دار الصفا للنشر والتوزيع ٢٠١٥.

وللأطفال:

- (الأستاذ فوازيرو: اسمك معلومة وفزورة)- الهيئة العامة للكتاب من بداية ٢٠٠٤ ومستمرة حتى الآن.. صدر (تسعة وثلاثون اسما في ثلاثة عشر جزءا) وتعد موسوعة في معنى الأسماء في اللغة والعلم والتاريخ والصناعة والتجارة وتداعي معانيها.
- (مغامرات ندي) قصص سلسلة الأولاد والبنات- دار الهلال ٢٠١٣.
- (جولة مع عروس النيل) سلسلة الأولاد والبنات- دار الهلال ٢٠١٥.

وتحت الطبع:

- (أمم أمثالكم) مجموعة على لسان الحيوان والطير .
- (ولحم طير مما يشتهون) قصص متنوعة.
- (سلسلة فضائل الشهور العربية: ١٢ جزءًا) .
- (سلسلة معاني الشهور الميلادية: ١٢ جزءًا).

وعدد من أغاني الأطفال.

دراسات إسلامية:

- (عجائب سورة البقرة).
- (عجائب سورة النور) .
- (عجائب سورة العنكبوت).
- (الإمام مالك بن أنس).
- (الإمام أبو حنيفة النعمان).
- (الإمام أحمد بن حنبل).
- (الإيتيكيت في الإسلام) .
- (حقائق مذهلة في جسم الإنسان).
- (موسوعة الدعاء المستجاب) كلها تصدر عن مركز الراية للنشر والإعلام.

الإذاعة:

سهرات درامية بعنوان:

- (أمي ولكن) - البرنامج العام.
- (السلطان والراعية) - صوت العرب.
- (ابنة المليونير) البرنامج العام.
- (عاشت الأسامي) برنامج رمضاني ثلاثون حلقة - البرنامج العام.

دراسات في كتب:

- ترجمة معجم البابطين للشعر- الطبعة الثالثة ٢٠١٣.
- سيرة أدبية على أريج صدانا - شبكة صدانا الثقافية - الجزء الأول.
- (هؤلاء كتبوا للأطفال) إعداد «محمود قاسم» المجلس الأعلى للثقافة - المركز القومي لثقافة الطفل - ١٩٩٩).
- (القصة امرأة- ٢٠١٠) «محمد محمود عبد الرازق» الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- (هموم القصة القصيرة - ٢٠٠٨) «دكتور جمال عبد الناصر» كتابات الاتحاد.
- (القصة القصيرة المعاصرة- ٢٠٠١) «دكتور صابر عبد الدايم» دراسة لقصة إحراج.

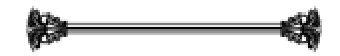
• (اتجاهات جديدة في القصـــة المعاصـــرة) أبحاث مؤتمر القصة - اتحاد الكتاب يناير - ٢٠٠٨).

• (هن في قلب مصـــر) «فاطمة الزهراء فلا» مكتبة جزيرة الورد. ملامح بعض الشخصيات المعتبرة.

ترشـــح الكتب في القائمة الببليوجرافية المعيارية للكتب المختارة لمكتبات المدارس منذ ديسمبر- ٢٠٠٥ وحتى الآن.

nadiakelany@windowslive.com

http://nadiakelany2012.blogspot.com



فهرس الكتاب